رقم ٩٩٩

محمود سالم

رقم ٩٩٩

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

رقم ٩٩٩

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٩ ٢٤٥٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
لماذا طُرد أحمد؟	١١
يُحرق بعد الاطلاع عليه!	١٥
عشاء لم يكتمل!	١٩
إذا لم ينفع العنف	٢٣
ثمن جواز المرور	٢٩
شكوك ... وانتظار ... ومسدس ماوزر	٣٥
القتل من أجل المستقبل	٤١
الخائن ... المهمة القادمة	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

لماذا طُرد أحمد؟

كان قرار طرد «أحمد» من مجموعة الشياطين الـ «١٣» قد صدر في الصباح، ففي الاجتماع الصباحي في «المقر السري» — الواقع في مكان ما من الصحراء — سمع الشياطين الـ «١٣» صوت رقم «صفر» وهو يُعلن القرار في هدوء ... كانت صدمةً لا مثيل لها، لكن لم يكن من حقِّ الشياطين معرفة أسباب قرارات رقم «صفر»؛ فإن النظام الذي تدرَّبوا عليه منذ انضمُّوا جميعًا إلى المجموعة هو تنفيذ التعليمات حرفيًّا «حتى ولو كانت تعني الموت!»

ولكن طرد «أحمد» — كما فكَّر الشياطين جميعًا — كان شيئًا أقسى من الموت ... كانوا جميعًا يُحبُّونه؛ فقد كان دائمًا نموذجًا ممتازًا للمغامر الذكي الجريء ذي القلب الشجاع، فما هي الأسباب التي دعت إلى طرده؟

لم يكن هناك سببٌ واحد يُبرِّر هذا القرار...

أخذ «أحمد» يُفكِّر في الأيام القادمة ... كان نظام المجموعة يقضي بأن يقوم رقم «صفر» بتدبير عملٍ مناسب للعضو المفصول، بشرط ألَّا يتحدَّث العضو عن حقيقة العمل الذي كان يُمارسه مطلقًا، ولا بكلمةٍ واحدة، وإلَّا كان مصيره الموت!

وكان «أحمد» يُفكِّر في العمل الذي سيُسنده له رقم «صفر»، وتمنَّى أن يكون عملًا مناسبًا ... ويُفكِّر في الحياة التي سيحياها بعد ذلك، وكيف سيتحوَّل من مغامر يقضي أغلب الوقت في صراع مع الشر والمجرمين، إلى شابٍّ عاديٍّ يعمل في مكان هادئ. شيء لا يمكن تصوُّره! ... ولكن ليس هناك حلٌّ آخر؛ فهو لا يستطيع مناقشة رقم «صفر» في القرار، وليس عليه إلَّا التسليم.

سمع التليفون يدق، وعندما رفع السمَّاعة كانت مفاجأة له: لم يكن المتحدِّث أي واحد من الشياطين الـ «١٣»، لقد عرف على الفور الصوت العميق، إنه صوت رقم «صفر»، وقد كانت أول مرة يتحدَّث إليه تليفونيًّا ...

قال رقم «صفر»: «أحمد»!

ردَّ «أحمد» سريعًا: نعم!

رقم «صفر»: هل أنت على استعداد لتنفيذ القرار؟

أحمد: بالطبع يا سيدي.

وصمت رقم «صفر» لحظات، ثم قال: الساعة الآن التاسعة وعشرون دقيقة، سنلتقي في الغرفة رقم «١٧/ك/س» بعد عشر دقائق بالضبط.

وفي الموعد وجد «أحمد» نفسه في غرفةٍ مستديرة، بُطِّنت جدرانها بالفلِّين السميك، وفي وسطها تمامًا مائدة مستديرة، يتوسَّطها ميكروفون ومقعد واحد، ولا شيء آخر ... وأحسَّ بخيبة أمل، فوجود مقعد واحد معناه أنه سيكون وحده، وأن رقم «صفر» لن يأتي ولن يراه ...

جلس على المقعد، ولم يكد يرتاح في جلسته حتى سمع صوت رقم «صفر» يقول: لعلك توقعت أن تراني!

ردَّ «أحمد»: نعم!

رقم «صفر»: لم يأتِ الوقت المناسب بعد.

أحمد: وهل هناك وقت أنسب من خروجي من المجموعة؟ إنني إذا لم أرَك الآن فلن أراك بعد الآن.

سمع «أحمد» رقم «صفر» يضحك، وكانت هذه أول مرة يسمع فيها ضحكته، وقال رقم «صفر»: لي معك حديثٌ هام!

أحمد: إنني منصتٌ تمامًا يا سيدي.

رقم «صفر»: يُهمُّني جدًّا ألَّا يعرف أحدٌ هذا الحديث، ولا أن يعرف لماذا طُردت من مجموعة الشياطين الـ «١٣».

دقَّ قلب «أحمد» سريعًا وهو يسمع كلمة «الطرد». لقد ظن عندما سمع رقم «صفر» يضحك أنه غيَّر رأيه، ولكن من الواضح أنه مُصرٌّ على طرده، وعادت التساؤلات تشد رأسه، لماذا؟!

ولكن الرد لم يأتِ سريعًا، قال رقم «صفر»: إنك تعرف «الورلد ماسترز» أو «سادة العالم»، هذه العصابة الرهيبة التي تُحاول أن ترث سلطة عصابة «المافيا» في العالم! ... إن هذه العصابة أقوى وأكثر تنظيمًا من «المافيا»؛ فعصابة «المافيا» تُركِّز نشاطها في «أمريكا» و«إيطاليا»، وبعض الدول الأخرى، ولكن ليس لـ «المافيا» نشاط في الشرق الأوسط أو المنطقة العربية عمومًا ... أمَّا «الورلد ماسترز» فتسعى لفرض سيادتها على منطقتنا،

وقد استطعتم حتى الآن أن تكسبوا منها جولتَين، ولكن هذا لن يُؤدِّي إلى وقف نشاطها مطلقًا.

وصمت رقم «صفر» لحظات ... وتذكَّر «أحمد» مغامرة «رصاصة واحدة تكفي»، ثم مغامرة «قارئ الأفكار» ... لقد استطاع الشياطين الـ «١٣» أن يقضوا على عدد لا بأس به من أكبر أعوان عصابة «سادة العالم»، ولكن هذا بالطبع ليس معناه نهايتها.

وعاد صوت رقم «صفر» يقول: وأنت تذكر السيارة الإلكترونية التي كانت مع العصابة، هذه السيارة التي تُشبه قلعةً محصنةً لا يمكن اقتحامها، لقد اكتشفتُ بعد الاستيلاء على السيارة في المغامرة الأخيرة أنهم التقطوا مجموعةً من الصور لك ...

وتوتَّرت أعصاب «أحمد»؛ لقد عرف الآن سر طرده ... لقد انكشف ولم يعد صالحًا للعمل، وأحسَّ بقلبه ينقبض؛ فقد جاءت النهاية حقًّا، لقد كان من أهم عوامل نجاحهم حتى الآن أن لا أحد يعرفهم ...

وعاد رقم «صفر» يقول: وباكتشافهم شخصيتك؛ أصبح من الصعب أن تكون ضمن الشياطين الـ «١٣» في صراعهم ضد هذه المنظمة الإرهابية العاتية ... هل تفهمني؟

ردَّ «أحمد» باستسلام: إنني أفهمك بالطبع يا سيدي.

رقم «صفر»: أليس هذا مبرِّرًا كافيًا لطردك من مجموعة الشياطين؟

ردَّ «أحمد»: بالطبع يا سيدي، ولكن ...

رقم «صفر»: ولكن ماذا؟

أحمد: من الممكن أن أُطرد لفترة وأبقى في المقر السري حتى القضاء على منظمة «الورلد ماسترز»، ثم أعود إلى نشاطي مرةً أخرى، أو دعني أشترك في النشاط الموجَّه إلى العصابات الأخرى، فلن تكون منظمة «الورلد ماسترز» هي المنظمة الوحيدة التي تعمل ضدنا.

قال رقم «صفر»: إن «الورلد ماسترز» واختصارًا لها سمِّها «و. م» هي ما يُهمُّني حاليًّا؛ فهي أكثر العصابات التي قابلتها خطورة، وفي وجودك وسط الشياطين والعصابة تعرف شكلك، ما يُمثِّل نقطة ضعف كبرى في المجموعة ... أليس كذلك؟!

أحمد: بالطبع يا سيدي!

رقم «صفر»: إذن استعد للسفر فورًا إلى «القاهرة» ... جهِّز ما تحتاج إليه من ملابس، وستجد مظروفًا به مبلغ محترم، يسمح لك بحياة محترمة في أي مكان.

أحسَّ «أحمد» بغصة في حلقه ... لقد أصبح الأمر نهائيًّا، وتردَّد لحظات، ثم قال: أودُّ أن أقول لك يا سيدي إن بعض زملائنا ثائرون.

ردَّ رقم «صفر»: ليس بعضهم، إنهم جميعًا غاضبون من أجلك ... ونحن نشكرك لأنك وقفت موقفًا صحيحًا، ونصحتهم بأن يُنفِّذوا الأوامر.

أحمد: شكرًا لك يا سيدي، ووداعًا ...

رقم «صفر»: وداعًا يا ولدي.

عندما عاد «أحمد» إلى غرفته كانت مشاعر الحزن والأسى تُسيطر عليه ... لقد أدرك الآن قسوة نظام مجموعة الشياطين الـ «١٣». لقد أصبح في لحظات شخصًا غير مرغوب في بقائه، وصدر القرار بطرده دون رحمة ...

ونظر إلى «الكومودينو» المجاور لفراشه، ولفت انتباهه ورقة بيضاء مطوية وتحتها مظروف أزرق.

أمسك بالورقة ليفتحها فسقطت منها سلسلة من المفاتيح فدُهش ... وقرأ الورقة، وكانت كالآتي:

اقرأ هذا العنوان واحفظه جيدًا، ثم أحرق هذه الورقة فورًا ...

العمارة رقم ١٦ شارع كورنيش النيل، جاردن سيتي، «القاهرة»، الدور الثامن، الشقة ٨٤.

المفاتيح المرفقة هي مفاتيح الشقة، خذها وسافر فورًا. الرسالة الزرقاء لا تُفتح إلَّا عندما تدخل الشقة، وتُغلِق الباب عليك.

أغمض «أحمد» عينَيه وأخذ يُثبِّت العنوان في ذاكرته كما تعلَّم أن يفعل، «١٦ شارع كورنيش النيل ٨٤»، وألقى بالورقة في فتحة صغيرة بالحائط، فاشتعلت فيها النار فورًا، وتحوَّلت في ثوانٍ قليلة إلى رماد، ثم قام إلى حقيبته فأعدَّها، وسمع جرس التليفون الداخلي يرن ورفع السمَّاعة، وسمع صوتًا يقول: البوابة رقم ٤ السيارة في انتظارك.

يُحرق بعد الاطلاع عليه!

بعد ثلاث ساعات من الأحداث السابقة، كان «أحمد» ينزل في مطار «القاهرة» الدولي، ثم يستقل تاكسيًا ويقول للسائق: ميدان التحرير ...

وبلغ من شروده أنه لم يُفق إلَّا على صوت سائق التاكسي وهو يقول له: ميدان التحرير يا أستاذ!

ووجد نفسه بجوار دار الآثار، فقال للسائق: حتى شارع «قصر العيني» من فضلك.

وصل سريعًا إلى باب العمارة. توقَّف لحظات يختلس النظر حوله، ثم تقدَّم وركب المصعد الذي حمله إلى الدور الثامن، ونظر في الدهليز الصغير، ورأى رقم ٨٤ مكتوبًا على الشقة فاتجه إليها.

أخرج سلسلة المفاتيح من جيبه، ودسَّ أحدها في الباب، ولدهشته لم يفتح، فنظر إليه وعرف أنه مفتاح سيارة ... واختار مفتاحًا آخر ودسَّه في الباب، وسرعان ما فتح الباب، ودخل وأغلقه خلفه.

كانت شقةً أنيقةً مكوَّنةً من أربع غرف، وفتح أبواب الصالة الزجاجية، ووجد نفسه يُطلُّ على النيل، وأحسَّ براحة تغمره، ثم تذكَّر الخطاب الأزرق فأسرع إلى الحقيبة وفتحها، وأخرج منها الخطاب.

أمسكه بيده لحظات وهو يُفكِّر ... ماذا تحمل سطوره؟

وبرفق فتحه، ووجد بداخله رسالةً طويلة، كُتب عليها بالمداد الأحمر:

سري للغاية

يُحرق بعد الاطلاع عليه، ومعرفة ما به من تعليمات من رقم «صفر».

إلى الشيطان رقم «١»

إن طردك من الشياطين الـ «١٣» هو خطة محكمة للإيقاع بعصابة «الورلد ماسترز».

وأغمض «أحمد» عينَيه عندما قرأ هذا السطر ... إذن فهو لم يُطرد ... إن طرده تمثيليةٌ متقنة، يقوم هو بدور فيها ... ورقص قلبه فرحًا، وعادت إلى وجهه ابتسامة افتقدها منذ الصباح، ومضى يقرأ ...

لقد قرَّرنا أن نزرع أحد رجالنا في قلب العصابة، وقد فكَّرنا طويلًا واستعرضنا عشرات الأسماء حتى وقع اختيارنا عليك. وعندما قرَّرتُ أن أُخفي هذا الأمر عن بقية الشياطين، لم أكن أقصد أن الخبر سيتسرَّب عن طريقهم، ولكن رأيت أن أُجري تجرِبة إصدار قرار غير معقول، لأرى ردَّ الفعل عندهم، وقد كانوا عند حُسن ظنِّي ... لقد حزنوا، ولم يحدث أي تمرُّد.

وابتسم «أحمد» وهو يتذكَّر ما حدث ... غضبت «إلهام» وحزن بقية الشياطين. واستمر يقرأ:

سنحاول إذن زرعك في قلب العصابة، وأنت تعرف معنى زرع شخص في قلب مجموعة، إن معناه أن ينضمَّ إليهم، ويُؤدِّي المطلوب منه تمامًا ... أعني أن يكون شريرًا مثلهم، حتى يعرفهم جميعًا، ثم ينتظر اللحظات المناسبة للانقضاض عليهم، وبالطبع لن تنقضَّ عليهم وحدك، نحن جميعًا سنكون معك عندما تطلب ذلك.

والآن يبرز سؤال هام ... كيف سيتم زرعك بينهم؟

وهو أهم سؤال، والإجابة عليه تحتاج إلى دقةٍ وإلى مخاطرة في نفس الوقت ... فهل أنت على استعداد؟ إذا لم تكن، ففي إمكانك العودة فورًا إلى المقر السري، وقد نُفكِّر في شخص آخر، وقد نُفكِّر في إلغاء الخطة كلها ...

وإليك خطتي في زرعك داخل عصابة «الورلد ماسترز» أو «سادة العالم»:

أولًا: ستتسرَّب إليهم عن طريق بعض رجالنا أنباء عن طردك، وعن تمرُّد حدث في مجموعة الشياطين الـ «١٣» بعد طردك.

ثانيًا: ستعيش حياةً بعيدةً تمامًا عن المغامرات؛ فسوف تعمل سائق تاكسي، وستجد بين المفاتيح التي معك مفاتيح سيارة، وستجد السيارة في جراج «قطة» في «شبرا»، وسوف تسكن هناك ... وفي آخر الرسالة عنوان المكان الذي ستقيم فيه.

ثالثًا: نتوقَّع أن يسعى إليك رجال العصابة لضمِّك إليهم، ومعرفة أكبر قدر من المعلومات عن مجموعة الشياطين الـ «١٣» ورقم «صفر». وبالطبع سوف ترفض في البداية الانضمام إليهم، وستظل مُصرًّا على الرفض فترةً حتى يُقدِّموا لك بعض الإغراءات، أو يخطفوك ...

رابعًا: نتوقَّع أنهم قد لا يُصدِّقون قصة طردك، ويتردَّدون في الاتصال بك، وفي هذه الحالة سوف يتم القبض عليك بتهمةٍ مزيَّفة، بواسطة رجال الشرطة، وسيُعلَن في الصحف عن القبض عليك، ووضعك في السجن، بحيث لا يُصبح لديهم شك في أنك طُردت فعلًا. ونتوقَّع أن يتصلوا بك في السجن، أو بعد أن تخرج منه ... وستبقى في السجن شهرًا.

خامسًا: عندما يتصلون بك ... وعندما تنضم إليهم، تظاهر أنك لا تعرف شيئًا كثيرًا عنَّا، وأنك تخشى انتقامنا ... ثم في النهاية تظاهر أنك قرَّرتَ الإفضاء بما عندك من معلومات، وقد أرفقتُ بهذه الرسالة كشفًا بالمعلومات التي يمكن أن تقولها لهم، وفيها قدر كبير من الحقائق، بما في ذلك مكان المقر السري!

سادسًا: عليك أن تُرسل لنا رسالةً لا سلكية ... وعندك في الشقة التي أنت بها جهاز لا سلكي قوي، والشفرة المستخدمة هي رقم «ش. ر. س»، وأنت بالطبع تحفظها ... وفي نفس الوقت، فإن الراديو الموجود في السيارة التاكسي، يمكن أن تُحوِّله إلى جهاز لا سلكي؛ وذلك لإرسال المعلومات العاجلة إلى مركز خاص في «القاهرة» في حالة حاجتك إلى معونةٍ سريعة.

ومرفق مع الرسالة بيانات بكيفية تحويل الراديو إلى جهاز لا سلكي.

سابعًا: المطلوب منك أن تكون شديد الحذر، وأن تتظاهر بأنك تركت حياة المغامرات تمامًا، وأن تحصل على كل المعلومات اللازمة عن نشاط المنظَّمة في المنطقة العربية، وعدد أفرادها، وعناوينهم، وأسمائهم طبعًا ... وأن تعرف إذا استطعت الزعيم الأعلى لهذه العصابة، وأين يوجد مقرُّهم الرئيسي.

ثامنًا: كن حذرًا، حذرًا، حذرًا ...

ودعواتي لك بالتوفيق!

رقم «صفر»

انتهى «أحمد» من قراءة الرسالة، ثم قرأها مرةً أخرى، وقام بإحراقها، بعد أن استوعب جميع التعليمات التي بها، وقرأ المعلومات المطلوب توصيلها إلى المنظمة، وكيفية تحويل جهاز الراديو إلى جهاز لا سلكي، ثم أحرق كل الأوراق، وفتح باب الشرفة وجلس يتأمَّل نهر النيل العظيم، وهو ينساب هادئًا بين الشاطئَين. وقد بدت الجزيرة — حيث يوجد البرج، والنادي الأهلي ونادي الجزيرة — كأنها جزيرة من الشجر والمباني، وبدا الناس من بعيد وكأنهم مجموعة من النحل تعمل في مستعمرة.

وقرَّر أن يشرب كوبًا من الشاي الخفيف الذي يُفضِّله، فدخل المطبخ وهو يرجو أن يجد السكر والشاي، وكم كانت دهشته أن وجد كل شيء يُفكِّر فيه في مكانه! بل حتى نوع الشاي الذي يُفضِّله وجده في علبته! ...

وأحسَّ بسعادة غامرة، وأعدَّ لنفسه بجانب كوب الشاي بعض الساندويتشات، ثم عاد إلى الشرفة يستمتع بشمس «القاهرة» الدافئة، وقد قرَّر أن يقضي اليوم وحيدًا في الشقة على أن ينزل في المساء، ليتجوَّل ويدخل السينما، وفي اليوم التالي يبدأ عمله كسائق تاكسي.

وتذكَّر جهاز اللاسلكي فقام لتجرِبته، ووجده على أكبر قدر من الكفاءة، وقرَّر أن يستعمله فورًا.

جلس وكتب:

من «ش» رقم «١»، إلى «ش. ك. س»

لقد قبلتُ المهمة. أشكرك على ثقتك بي.

«ش» رقم «١»

عشاء لم يكتمل!

في اليوم التالي بدأ «أحمد» عمله فورًا ... ذهب إلى «الجراج» وتسلَّم السيارة، فوجد كل الأوراق التي يحتاج إليها، مثل رخصة السيارة ورخصة سائق. وكان قد غيَّر ثيابه، وعندما انطلق إلى شوارع «القاهرة» المزدحمة لم يكن بينه وبين عشرات الألوف من سائقي التاكسيات في العاصمة أي فارق ...

ولم تمضِ لحظات حتى بدأ عمله. ركب رجل وزوجته وأطفاله التاكسي، وطلب الرجل منه الاتجاه إلى سينما مترو، وأخذ «أحمد» يُفكِّر في «نقطة التماس»، فهي النقطة المهمة في أي مغامرة ... النقطة التي يبدأ فيها الاتصال بين المغامر وبين العصابة، فمتى تأتي هذه اللحظة الهامة التي يتعجَّلها؟!

ولكن اليوم الأول مضى دون أن يحدث شيء، وقطع نحو ثلاثمائة كيلومتر في الشوارع من الجيزة إلى مصر الجديدة، إلى العجوزة، إلى جاردن سيتي، دون أن تأتي اللحظة الحاسمة، وكانت الساعة قد بلغت منتصف الليل، فقرَّر أن يعود للنوم ...

وكان متعبًا مرهقًا، عندما فوجئ بزبون يركب معه من الزمالك، ويطلب الذهاب إلى مدينة نصر ... مسافة طويلة، ولولا أن الرجل دخل التاكسي، ووضع حقائبه بجواره في المقعد الخلفي، لحاول «أحمد» الاعتذار له، ولكن انتهى الأمر وبدأ السير ...

بعد أن تجاوز كوبري أبو العلا ثم شارع ٢٦ يوليو، بدأ الزحام يخف في شارع رمسيس، حتى إذا وصل إلى طريق مصر الجديدة أطلق للسيارة العنان ... ولاحظ «أحمد» أن سيارةً كبيرةً سوداء، كانت تسير في نفس الطريق منذ أن غادروا ميدان رمسيس، فهل كانت تتبعهم من قبل؟ من الصعب التأكُّد؛ فقد كان الطريق مزدحمًا ...

وبدأ «أحمد» ينتبه للسيارة السوداء، وكلما أوغل في الشوارع الخالية، ازداد تأكُّده من أن السيارة تتبعه، وبدأ يشعر بنوع من التوتُّر، وتساءل: هل جاءت «لحظة التماس»؟

ووصلت السيارة على مشارف مدينة نصر، وهي مكانٌ جديد على «أحمد» لا يعرف شوارعه وطرقاته، فسأل الراكب: إلى أين؟

قال الرجل بصوت لاحظ «أحمد» أنه مرتعد قليلًا: لا داعي لمدينة نصر ... اتجه إلى طريق المطار.

دُهش «أحمد»، وأخذ يُراقب الراكب في المرآة الداخلية، ولاحظ على الفور أنه يتلفَّت خلفه كثيرًا، وعرف أنه يُراقب السيارة السوداء.

ما هي الحكاية؟

هكذا حدَّث «أحمد» نفسه، وقال للرجل: هل أستطيع أن أعرف إلى أين أنت ذاهبٌ بالضبط؟

ردَّ الرجل بحدة: قلت لك طريق المطار.

تنهَّد «أحمد» متضايقًا وأخذ يُفكِّر بسرعة ... ماذا يفعل في هذه المطاردة الواضحة؟ هل يقف؟ ... هل يستمر؟ ...

وأخذت السيارة السوداء الكبيرة تزيد من سرعتها، عندما انحرف «أحمد» عند تقاطع طريق صلاح سالم وشارع العروبة، وبدأ يتجه إلى المطار ... كانت ليلةً باردة، والريح عاصفة، وقلَّ عدد السيارات المارَّة تدريجيًّا، وأحسَّ «أحمد» بقلق خفي، ولكنه مضى يقود السيارة، وفجأةً سمع الراكب يقول له: زد من سرعتك.

ردَّ «أحمد»: إنني أقود بسرعة ٨٠ كيلومترًا، وهذا يكفي.

قال الرجل بخشونة: قلت لك زد من السرعة!

وزاد إحساس «أحمد» بالقلق، ولكنه لم يرفع سرعة السيارة، وحدث ما لم يتوقَّعه مطلقًا، أحسَّ بفوَّهة مسدسٍ باردة تلتصق برقبته، وقال الرجل: زد السرعة، إن هناك من يُطاردنا.

ردَّ «أحمد» في ثبات: لماذا؟

قال الرجل: ليس لك أن تعرف!

زاد «أحمد» من سرعة السيارة تدريجيًّا، ولكن السيارة السوداء الكبيرة بدأت تقترب، وصاح الرجل وهو يضغط أكثر بالمسدس على رقبة «أحمد»: أعطِ للسيارة سرعتها القصوى.

وأدرك «أحمد» أن الموضوع لن ينتهي على خير، وقرَّر أن يقف المطاردة عند حدها.

نظر في المرآة الجانبية للسيارة، فلما تأكَّد أن لا سيارات قادمة، أدار عجلة القيادة بسرعةٍ فائقة فدارت السيارة دورةً واسعة، وصفَّرت العجلات على الأرض، وكانت الدورة كافيةً ليدور دورةً كاملة، وتُصبح في الاتجاه العكسي للسير، ثم رفع قدمه من فوق البنزين،

وجذب ناقل الحركة إلى حركته الأولى، وضغط على الفرامل بكل قوته، وسمع من خلفه الرجل يفقد توازنه، ويسقط من فوق مقعده، كما سقطت الحقيبتان، وكان هذا ما يتوقَّعه «أحمد» ...

فتح الباب، وقفز من السيارة، وفي نفس الوقت سمع طلقات مسدس ... ثم شاهد الرجل يقفز من السيارة، وسمع عجلات السيارة السوداء تُصفِّر على الأرض بشدة على أثر فرامل قوية ... وانهمرت طلقات الرصاص من الجانبَين، ثم شاهد الراكب يجري بكل قوته في الصحراء المكشوفة ... وسمع ثلاث طلقات، ثم سقط الرجل. وشاهد ثلاثة رجال يجرون؛ أحدهم ناحية الرجل الذي سقط، والآخران ناحية السيارة.

كان ذهن «أحمد» يعمل بسرعة لفهم كل ما يدور حوله ... كان في إمكانه أن يقفز إلى السيارة ويهرب، ولكن كان من الممكن مطاردته، ثم إن ما خطر له وتحقَّق سريعًا، هو أن هؤلاء الثلاثة من رجال الشرطة.

وانطلق ضوء كاشف من بطارية أحد الرجلَين، وقام «أحمد» واقفًا وأخذ ينفض ثيابه في هدوء، واقترب من الرجل الذي صاح به: قف مكانك!

ووقف «أحمد» مكانه ... وتقدَّم منه الرجل، وهو يُطلق ضوء البطارية في وجهه ليُعمي عينَيه، حتى إذا اقترب منه تمامًا قال: نحن من رجال الشرطة.

عندما دخل قسم الشرطة طلب منه الضابط الجلوس، وسأله إن كان يُحب أن يتناول كوبًا من الشاي، فقال «أحمد»: بالطبع فالدنيا برد جدًّا.

بعد لحظات جاءه الشاي، وقال له الضابط: إننا مضطرون لإبقائك حتى الصباح لاستكمال التحقيق، وبعد استجواب المهرب، إذا تمكَّنا من استجوابه.

تضايق «أحمد» وقال: إنني متعبٌ جدًّا، وفي أشد الحاجة إلى النوم.

وفتح الضابط محضرًا، وبدأ سلسلةً طويلةً من الأسئلة عن علاقة «أحمد» بالمهرِّب، فأكَّد له «أحمد» مرةً أخرى أنه لا يعرفه ... وتمَّ تفتيش السيارة بدقة، ولم يعثروا على شيء فيها ... وبعد نحو ساعة حضر الضابطان الآخران، وأخذ الثلاثة يتحدَّثون ويُناقشونه، وعرف «أحمد» أن الرجل مهرِّب مخدرات خطير، وأنه كان مراقبًا من رجال الشرطة فترةً طويلة، وأنهم كانوا يُريدون الوصول إلى شركائه ...

سأل «أحمد»: هل سيعيش الرجل؟

ردَّ أحد الضبَّاط: نعم ... لقد قال لي الطبيب إنه برغم إصابته برصاصة نافذة في بطنه، إلَّا أنه رجل قويٌّ وسيعيش، ولكن لن نتمكَّن من استجوابه قبل يومين.

وعرف «أحمد» أن العملية ليس لها علاقة برقم «صفر».

قال «أحمد»: في هذه الحالة، أليس من الممكن السماح لي بالذهاب إلى منزلي، على أن أعود في الصباح إذا لزم الأمر؟

فتشاور الضبَّاط الثلاثة، ثم وافقوا على أن يعود إلى منزله، على أن يُرسلوا في استدعائه إذا استدعى الأمر.

وبعد أن سجَّلوا جميع المعلومات عنه وعن سكنه، سمحوا له بالانصراف.

لم يُصدِّق «أحمد» أنه نجا من النوم في قسم الشرطة في هذه الليلة الباردة، فقفز إلى سيارته وأدار جهاز التكييف الساخن، ثم انطلق عائدًا إلى «شبرا».

ظلَّ يحلم طوال الطريق بطعام سريعٍ وفراش مريح، ومرَّ على محل لبيع الساندويتشات فاشترى ما يكفي للعشاء، ثم انطلق إلى «الجراج» فأودع السيارة به، وأسرع إلى الشقة الصغيرة القريبة من «الجراج» في شارع «قطة»، كانت تقع بالدور الأول في منزلٍ قديم متسع الغرف.

أدار المفتاح في قفل الباب، وعندما خطا أول خطوة داخل الغرفة، أحسَّ في أعماقه بخطر مجهول ... لقد أحسَّ على الفور أنه ليس وحيدًا، وأن ثمة خطرًا يتهدَّده، ولكن قبل أن يفعل أي شيء أُضيء النور، ودفع شخص الباب بيده فأغلقه ...

وعلى الفور شاهد رجلًا يجلس في الصالة وقد وضع ساقًا على ساق ... وقبل أن يفتح «أحمد» فمه، دفعه شخص آخر من الخلف، وقال الرجل الجالس مبتسمًا: لقد تأخَّرتَ كثيرًا!

قال «أحمد»: من أنتم؟! ... كيف دخلتم إلى هنا؟!

ظل الرجل راسمًا ابتسامته على شفتَيه وقال: لا داعي لأن تتظاهر بالدهشة؛ إننا نعرف جيدًا من أنت!

وأشار إلى مقعد فتقدَّم «أحمد» وجلس ... كانت ساندويتشات الفول والطعمية في يده ساخنة، فلم يتردَّد، فتح الكيس وأخرج ساندويتشًا، وأعمل فيه أسنانَه، وأدار وجهه في المكان، ولم يكن هناك سوى الرجل الجالس، والرجل الآخر الواقف خلفه، وأدرك أن الشقة قد تعرَّضت لتفتيش دقيق.

قال الرجل: نرجو ألَّا نختلف ... لقد وصلتنا أنباءٌ سريعة عن طردك من المنظمة التي تعمل بها ... فهل هذا صحيح؟

ظلَّ «أحمد» يقضم الساندويتش اللذيذ الساخن، وهو يُفكِّر في اللحظات القادمة ...

إذا لم ينفع العنف

عاد الرجل يقول: هل سمعتَ ما قلتُه لك؟!

قال «أحمد»: إنني لم أسمع عن هذه المنظمة التي تتحدَّث عنها، ولم أُطرد من أي شيء، ولا أعرف عن شيء تتحدَّث ... وأرجو أن تُوضِّح لي سبب تشريفكما لمنزلي ولماذا؟! ...

وقبل أن يُكمل جملته، أحسَّ بضربة قاسية تُصيب عنقه من الخلف، وبالطعام ينحشر في حلقه.

وعاد الرجل يقول: إننا ننتظرك منذ منتصف الليل، والساعة الآن تجاوزت الثانية صباحًا! ... ليس عندنا وقت نُضيِّعه في هذا الموضوع أكثر من هذا!

ازدرد «أحمد» الطعام بصعوبة وعاد يقول ...: أؤكد لك أنني لا أعرف عن أي شيء تتحدَّث ... في هذه المرة نزلت الضربة على جانب وجهه ... ضربة قوية أحسَّ على أثرها بالدم يتدفَّق داخل فمه ... وتوقَّف تمامًا عن الأكل، وأحسَّ أن رأسه يدور كالنحلة ... لقد جاءوا في موعدٍ سيئ؛ فهو متعبٌ يحلم بالنوم ... وهم في عجلة من أمرهم، وعلى استعداد للوصول إلى آخر مدًى للحصول على اعترافاته ... ولكن، حسب تقديره، لم يكن الأوان قد آن بعدُ لكي يقول أي شيء؛ فإن اعترافه بسهولة قد يكشف الخطة الرائعة التي وضعها رقم «صفر» لزرعه في قلب «سادة العالم»!

لهذا أخرج منديله ووضعه في فمه ... واستمرَّ الرجل الجالس يقول: إنك ستقول لنا الحقيقة، ليس فقط أنك طُردت من المنظمة، ولكن أيضًا الحقيقة وراء هذا الطرد ... وهل طُردت فعلًا، أم أنها خطة للإيقاع بنا؟!

أدرك «أحمد» أن المهمة لن تكون سهلة ... إنهم يشكُّون في حقيقة طرده، وسيقتلونه تعذيبًا وضربًا، قبل أن يُصدِّقوا حقًّا أنه طُرد من الشياطين الـ «١٣».

مسح فمه وترك الساندويتشات جانبًا ... كان يُحس بجسده كله يُؤلمه، وبرأسه يدور، وبحاجته الشديدة للراحة؛ ليستطيع مواجهة آلامه المقبلة، وأخذ يُفكِّر بسرعة ... إن الرجل الواقف خلفه قريب منه جدًّا، إنه يسمع صوت تنفُّسه الثقيل، وهو يضربه بهراوة من المطاط، ومعنى هذا أنه لا يُمسك مسدسًا، والرجل الجالس لا يُمسك مسدسًا هو الآخر ... إنهما بالطبع مسلَّحان، ولكن حتى لحظة إخراج كلٍّ منهما مسدَّسه سيكون في إمكانه أن يفعل شيئًا ...

وعاد الرجل الجالس يقول: لا تُضيِّع وقتًا ... إن هذا الضرب البسيط ليس شيئًا بالنسبة لما يمكننا أن نفعله بك!

وسمع حركة ذراع الرجل خلفه، وأدرك أنه سيضربه مرةً أخرى، وفي جزء من الثانية كان «أحمد» يسحب الكرسي الذي يجلس عليه ويرفعه عاليًا، ثم ينزل به في ضربة ساحقة على رأس الرجل الواقف ... وفي قفزتَين كان قد فتح باب الشقة، وقفز إلى الخارج وأغلق الباب خلفه، ثم أسرع يجري في الظلام بأقصى قوته.

كان شارع «قطة» ينتهي بشارع «شبرا» الرئيسي، واختار «أحمد» الاتجاه الآخر لشارع «قطة»، وعند نهايته كنيسة بها سورٌ منخفض، وبسرعة قفز السور، ثم انطلق يجري في الحديقة الصغيرة، وقفز السور من الناحية الأخرى، وأصبح في شارع «العطَّار».

ومشى بهدوء حتى وصل إلى منتصف الشارع، وانحرف يسارًا، وأدرك أنه ابتعد بما يكفي عن الرجلَين؛ فهما ليسا من مصر، ولا يعرفان الشوارع والحواري مثله، ولن يصلا إليه مطلقًا ... بعد ربع ساعة من المشي، أصبح في شارع «مسرَّة»، ووجد «تاكسي» واقفًا قد نام سائقه داخله، ولم يتردَّد في إيقاظه، ورجاه أن يحمله إلى شارع «قصر العيني»، وبعد ربع ساعة أخرى، كان يدخل شقته الأنيقة على النيل، فألقى بنفسه على الفراش، وذهب في نوم عميق ...

عندما استيقظ «أحمد» ... كانت الشمس تغمر «القاهرة» في يوم شتويٍّ دافئ ... وأخذ يتمطَّى في فراشه، وأحسَّ بآلام الضرب الذي تعرَّض له، ولكنه كان سعيدًا؛ لقد استطاع تنفيذ الجزء الأول من الخطة، وهي أن يبدو متمنِّعًا، كأنه طُرد فعلًا من مجموعة الشياطين، ولا يُريد الحديث عنها ...

شيءٌ واحد كان يخشاه؛ أن تفقد منظمة «سادة العالم» أثره بعد هربه الليلي، ولكن ما كان يُطمئنه أن رقم «صفر» لا بد قد سرَّب إليهم معلومات عن التاكسي أيضًا، وسيعود للتاكسي ويعمل كسائق حتى يعثروا عليه مرةً أخرى.

قام إلى الحمَّام فاغتسل واستردَّ نشاطه، ثم لبس نفس ثيابه، ثياب السائق، وانطلق عائدًا إلى «شبرا» … ولم يكد يصل إلى شقته حتى فوجئ بما لم يتوقع؛ كان بعض رجال الشرطة في انتظاره، فتذكَّر حادث المهرِّب أمس، وأدرك أنهم يطلبونه للاستجواب.

وتقدَّم من رجال الشرطة، وسلَّم نفسه، واستطاع وهو يستدير ليركب سيارة الشرطة «الجيب»، أن يلحظ أن ثمة رجلًا غريبًا يقف أمام «الجراج»، ويُراقب ما يحدث … وأحسَّ بقلبه يرقص طربًا، إن هذا معناه أن المنظمة تُراقبه، وسوف يطمئنُّون إليه تمامًا بعد أن يروه في قبضة رجال الشرطة … إن خطة رقم «صفر» تتحقَّق بطريق الصدفة البحتة، فيا له من حسن حظ!

انطلقت سيارة الشرطة، ولاحظ أن الرجل الغريب انطلق بسيارته خلفهم، وظل يتبعهم بسيارته حتى وصلوا إلى قسم شرطة مصر الجديدة، وعندما تهيَّأ «أحمد» لدخول القسم، لاحظ أن الرجل قد دار بالسيارة عائدًا.

استغرق الاستجواب أمام وكيل النيابة نحو ساعتَين، وتقرَّر اعتبار «أحمد» شاهدًا، وأُطلق سراحه بضمان بطاقته الشخصية، وعاد إلى «شبرا» مرةً أخرى، لم يجد أحدًا في انتظاره، وانطلق بالسيارة في شوارع «القاهرة»، يحمل الركَّاب من مكان إلى آخر، حتى اندمج في عمله تمامًا.

ولكن الليل كان يحمل إليه جديدًا؛ فعندما قرَّر وضع السيارة في «الجراج» والاكتفاء بساعات العمل التي قام بها، أوقفه شخص وركب بجواره عند مدخل الشارع، وطلب توصيله إلى شارع «شريف» … كاد يعتذر عن هذه التوصيلة، ولكن لهجة الرجل أيقظت في نفسه حاسته السادسة؛ إن خلف هذا الرجل شيئًا غير عادي، شيئًا يوقظ في النفس رغبة المغامرة … ومضت السيارة في الشوارع التي خفَّ زحامها، حتى إذا دخل شارع «شريف» قال الرجل: هل تجد مكانًا هنا تركن فيه السيارة؟

ففكَّر قليلًا، ثم قال: ممنوع الوقوف في شارع «شريف» نهائيًّا، وأقرب مكان ميدان «العتبة».

فتح الرجل الباب واستعد للنزول قائلًا: إنني أُريدك في مهمة ستعجبك!

أحمد: أين؟

الرجل: في الشقة رقم ١٥ بالدور الثالث بعمارة الأنوار.

ونزل الرجل، وانطلق «أحمد» بالسيارة حتى توقَّف في ميدان «العتبة»، ثم عاد مشيًا على الأقدام إلى شارع «شريف»، ودار حول عمارة الأنوار يرى مداخلها ومخارجها، ثم نظر إلى ساعته، كانت قد تجاوزت منتصف الليل بنصف ساعة، ثم دخل العمارة …

وقف أمام الشقة لحظات، ثم دق الجرس، وبعد لحظة واحدة فُتح الباب وظهر نفس الرجل ... كانت على شفتَيه ابتسامة، ودون كلمة واحدة أشار إلى «أحمد» فتبعه ... مرَّا بصالة صغيرة، ثم دقَّ الرجل على باب مغلق في طرف الشقة، وفُتح الباب ووجد «أحمد» نفسه أمام رجل وحيد قصير القامة، يجلس على مقعد وثير، وأمامه منضدة صغيرة عليها بعض الصور والأوراق ...

ابتسم الرجل لـ «أحمد» وطلب منه الجلوس بجوار المنضدة، وأشار للرجل الآخر فغادر الغرفة، وأصبحا وحيدَين.

أخذ «أحمد» يتأمَّل الرجل القصير، لم يكن قد رآه من قبلُ فيمن اصطدم بهم من رجال المنظمة، سواء في «بيروت» أو «القاهرة» ... لم يكن يبدو عليه مطلقًا أنه من رجال العصابات، بل كان يبدو أقرب ما يكون إلى موظَّفٍ محترم في بنك أو شركة كبرى.

قال الرجل وهو يُشير بقلم رصاص إلى المنضدة: تأمَّل هذه الصور.

ونظر «أحمد» إلى الصور، ثم مدَّ يده وأمسك بواحدة منها ... كانت صورةً له في فناء مستشفى المعادي حيث جرت أحداث آخر مغامرة للشياطين مع المنظمة ... ورغم أنه أحسَّ بتوتُّر مفاجئ، فقد ظلَّت يده التي تُمسك بالصورة ثابتة؛ فقد أدرك أنه وصل إلى «نقطة التماس»، نقطة الاتصال بينه وبين المنظمة، وأن الخطة التي وضعها رقم «صفر» تمضي في طريقها ...

كانت الصورة واضحةً رغم أنها التُقطت ليلًا، ورغم أن «أحمد» يذكر أنه لم يرَ ضوء كشَّاف أو «فلاش» في تلك الليلة، وعرف أنهم صوَّروه بالأشعة تحت الحمراء، ولا شك أنهم يملكون أحدث كاميرات في العالم.

وأمسك «أحمد» مجموعة الصور وأخذ يتأمَّلها ... كانت بعضها له في أوضاع مختلفة، وهو يجري، وهو يضرب ... وبعضها لـ «عثمان» ... ورفع عينه عن الصور، ونظر إلى الرجل الذي قال له: أظنك لا تُنكر أن هذه الصور لك!

لم يردَّ «أحمد» ... ومضى الرجل يقول: لقد كنا نعرف من البداية أنك من مجموعة الشياطين الـ «١٣»، وأنك لسبب ما قد طُردت منها!

ودقَّ قلب «أحمد» سريعًا؛ هذه أول مرة يسمع فيها اسم الشياطين الـ «١٣» من شخص ليس منها. إن الاسم نفسه سريٌّ جدًّا ... ورفع عينَيه إلى الرجل في ثبات، ولم يقل شيئًا، فاستمرَّ الرجل يقول: ونحن نُريد أن نضمَّك إلينا ... إن عندنا مهمةً تحتاج إلى شاب مثلك، وسندفع لك أجرًا لم تحلم به في حياتك ...

ولم يردَّ «أحمد» ... وقال الرجل: لقد حاولنا في البداية أن نعرف الحقيقة منك بالعنف، ولكن العنف لم يُجدِ معك ... وقد كنتَ بارعًا أن استطعت الهرب من الرجلَين، وقد أصبت أحدهما إصابةً فادحة!

ومال الرجل إلى الأمام وقال: ويُهمُّني أن أقول لك ألَّا تُحاول خداعنا ... إن لنا رجلًا داخل مجموعة الشياطين، وهذا الرجل سيعرف إن كنتَ ما زالت متصلًا بالشياطين أم طُردت منها فعلًا ...

وبذل «أحمد» مجهودًا خرافيًّا ليُسيطر على أعصابه ... لقد جاء ليزرع نفسه داخل المنظمة، ولكن المنظمة سبقت وزرعت رجلًا من رجالها داخل مجموعة الشياطين! ... فمن هو الخائن؟

ثمن جواز المرور

ساد الصمت لحظات، ثم قال الرجل: لقد أكَّد لنا عميلنا داخل الشياطين الـ «١٣» أنك طُردت فعلًا، ولهذا نحن نعرض عليك أن تنضمَّ إلينا ... فما رأيك؟

رفع «أحمد» وجهه إلى الرجل وتظاهر بأنه قد استسلم وقال: موافق ...

ابتسم الرجل قائلًا: إذن هيا بنا، سوف نُقابل بعض زعماء المنظمة الآن، وسوف يتفقون معك على التفاصيل.

وقاما واقفَين، واتجها إلى الباب، ثم إلى خارج الشقة دون أن يظهر أحد، وبعد لحظات كانا ينزلان في المصعد إلى الشارع، ووجدا سيارةً في انتظارهما، وركبا وانطلقت السيارة ...

ظلَّ «أحمد» يُراقب الطريق الذي انطلقت فيه السيارة، ولكن ذهنه كان مشغولًا بعشرات الأسئلة ... من هو الرجل «المزروع» داخل الشياطين الـ «١٣»؟

هل هو أحد رجال منظمة «سادة العالم»؟ أم هو أحد معاوني رقم «صفر»؟

إن الإجابة عن هذا السؤال مهمةٌ جدًّا، وفي نفس الوقت ماذا سيفعل الآن؟ ... هل سيتصل برقم «صفر» لإخطاره بهذه المعلومات أم يصمت؟ ... إن أي اتصال برقم «صفر» قد يكشف حقيقة مهمته، وهو قد أرسل رسالةً لا سلكيةً بالموافقة على قَبول المهمة، ومن الواضح أن رجل المنظمة لم يعرف عنها شيئًا. فهل هو داخل المقر السري الرئيسي أم خارجه؟

أسئلة كثيرة، والسيارة تمضي مجتازةً الشوارع الساكنة في الليل البارد، حتى إذا وصلت إلى كورنيش النيل في اتجاه المعادي زادت من سرعتها تدريجيًّا، ثم تجاوزت المعادي حتى اقتربت من حلوان، ثم بدأت تُهدِّئ من سرعتها، وتوقَّفت بجوار عوَّامة ضخمة راسية قرب الشاطئ.

كانت العوَّامة مظلمةً تمامًا لا يتسلَّل منها شعاع واحد من الضوء، ولا يبدو أن فيها أثرًا للحياة، ولكن رغم ذلك نزلوا على المعبر الأبيض إلى العوَّامة، وما كاد بابها يُفتح حتى فوجئ «أحمد» بضوءٍ باهر يكاد يُغشي عينَيه ...

فتقدَّمه الرجل إلى الداخل، ومضى «أحمد» خلفه في ممرٍّ لاحظ أنه من الحديد والخشب، وهذا ليس شيئًا عاديًّا في العوَّامات التي تكون عادةً من الخشب الخالص ... ومرَّا في طريقهما بعدد من الغرف المغلقة، وعدد من الحرَّاس المسلَّحين، ثم وصلا إلى صالة واسعة، ووجد «أحمد» نفسه يُحدِّق في خمسة وجوه شرسة ... إنهم زعماء منظمة «سادة العالم» ... والتقت عيناه بعيونهم، وكانت نظراتهم جميعًا تحمل معنى الاستفسار والامتحان والريبة ...

لم ينتظر «أحمد» أمرًا بالجلوس، فاختار كرسيًّا وجلس، وغادر الرجل الذي أتى معه الغرفة، ووجد نفسه وحيدًا مع الرجال الخمسة ... ولاحظ أن المكان الذي يجلس فيه غاية في الأناقة، وأنه مكيَّف الهواء، مُسدل الأستار، وعلى موائد بجوار الحيطان اللامعة وُضعت أصناف كثيرة من المأكولات والمشروبات، وكان جائعًا، ودون تفكير أو استئذان، قام فأعدَّ لنفسه طبقًا شهيًّا من المأكولات والفاكهة، ثم عاد إلى مكانه وبدأ يأكل ...

وبدا الضيق على وجه أحد الرجال، كان طويلًا يشبه الغوريلا، متهدِّل الثياب، يضع بين أسنانه عودًا من الكبريت يقضمه باستمرار ... وبدا لـ «أحمد» أن الرجل سيفعل شيئًا، واستعدَّ للحظات حرجة، ولكن الرجل الذي كان يجلس في المنتصف تحدَّث سريعًا، فقال موجِّهًا حديثه إلى الغوريلا: ليس هذا وقت انفلات الأعصاب يا «كرادوك» ... إن صديقنا الشاب جائع، ومن الأفضل أن نتحدَّث إليه بعد أن يملأ معدته...

وعاد الصمت من جديد، دار حديث هامس بين الرجال الخمسة، تظاهر «أحمد» أنه لا يهتم به، ولكنه كان يُتابعه، وهو في نفس الوقت يتظاهر بأنه يستمتع بما يأكل، فلمَّا قارب الانتهاء من طعامه وقام لإعادة الطبق مكانه، سمع صوت سيارة مقبلة توقَّفت عند رصيف العوَّامة، ثم سمع صوت أقدام مقبلة، وفُتح الباب ووقف الرجال الخمسة ...

التفت «أحمد» إلى القادم، وشاهد رجلًا متوسِّط الطول، شديد الأناقة، يجتاز المكان في خطوات سريعة متحفِّزة كالنمر، وبعد أن ألقى نظرةً على «أحمد» قال: هل تحدثتم مع الشاب؟

ردَّ الرجل الذي يجلس في الوسط: ليس بعدُ أيها الزعيم ...

قال الزعيم: هذا أفضل؛ فهناك تعديل في الخطة.

نظر إليه «أحمد» وفكَّر في هذا التعديل ... لقد كان كل شيء يسير على ما يرام، فماذا حدث؟

قال الزعيم: إننا نُريد اختبار صديقنا الشاب بعملية بسيطة، قبل أن نُوضِّح له خططنا.

وسكت لحظات، ونظر إلى «كرادوك» وقال: سيقوم «كرادوك» وصديقنا الشاب بعملية اغتيال السيد «ع»! ...

تردَّدت كلمة «اغتيال» في ذهن «أحمد» كأنها ذبذبة سلك مقطوع ... ومضى الزعيم يقول: إن قيامه بهذه العملية هو اختبار لنواياه ناحيتنا، وبعدها يمكن أن نُطلعه على خططنا المستقبلة، وعلى «كرادوك» أن يشرح له خطة الاغتيال، وطريقة القيام بها ... ونجاحه فيها سيكون جواز مرور إلى المنظمة.

قال «كرادوك» الغوريلا وهو يهزُّ ذراعيه: ولكن ...

أشار الزعيم بيده قائلًا: لا داعي للمناقشة يا «كرادوك». إن هذا الشاب سيقوم بالعملية معك، وعليك فقط أن تشرح له الخطة.

وقام الزعيم ومعه بقية الرجال، وبقي «أحمد» مع «كرادوك» وحده ... وأخذ الغوريلا ينظر إليه نظرات عدائية، لكنه اقترب منه، ثم أخرج من جيبه ورقةً مطبَّقةً فتحها وأخذ يشرح خطته ... كانت الورقة تُمثِّل رسمًا هندسيًّا سريعًا لعمارة تحتها «جراج»، وقال «كرادوك»: إن الرجل الذي نُريده يسكن في الدور الخامس من هذه العمارة، وهو ينزل في مصعد يُؤدِّي إلى «الجراج» مباشرة، وسنكمن له في «الجراج» ليلًا لقتله والاستيلاء على حقيبة يحملها دائمًا معه.

قاطعه «أحمد» قائلًا: ولكن هل هو «جراج» خاص؟

ردَّ «كرادوك»: لا، إن به سيارات بقية سكَّان العمارة.

أحمد: إنها خطةٌ مقضيٌّ عليها بالفشل؛ فهناك السكَّان، وهناك حُرَّاس «الجراج»، ومن الممكن أن يوجد شخص أو أكثر ...

كرادوك: لا مانع من قتل أي شخص يوجد في هذه اللحظة. إن المهم هو القضاء على السيد «ع». والعمارة على كورنيش النيل، وسنهرب عن طريق قارب بخاري.

أحمد: ومن هو السيد «ع» هذا؟

كرادوك: ليس لك أن تسأل ... إن عليك التنفيذ فقط!

أحمد: أليست هناك خطة بديلة؟

كرادوك: نعم ... إن «ع» يخرج عادةً ليلًا، ويذهب لمقابلة عدد من الخبراء في «شاليه» خاص في منطقة الأهرام، وهناك خطة لاعتراض سيارته، ثم إطلاق الرصاص عليه عندما يتوقَّف، ولكن هذا يُعطِّل خطتنا يومَين؛ فهو يذهب مرتَين فقط في الأسبوع، الإثنين والخميس، واليوم الثلاثاء.

أحمد: من الأفضل أن ننتظر ونضمن تنفيذ الخطة، من أن نُغامر ونفشل.

كرادوك: سأعرض اقتراحك على الزعيم.

وقام «كرادوك» وغادر المكان، وأخذ «أحمد» يفحص ما حوله بإمعان. كانت الصالة مربعةً تقريبًا، بها ست نوافذ مغطاة بالستائر، وأُحيطت جوانبها بكراسي متقاربة، وتناثرت فيها موائد صغيرة ... عدا مائدة كبيرة في مواجهة المدخل. وبها ثلاثة أبواب؛ واحد منهم يُؤدِّي إلى الدهليز الذي دخل منه، والآخران يُؤدِّيان إلى سطح العوَّامة.

عاد «كرادوك» سريعًا وقال بضيق: لقد وافق الزعيم على الانتظار حتى يوم الخميس!

وقف «أحمد» قائلًا: إذن سأنصرف وسأعود يوم الخميس ...

كشَّر «كرادوك» عن أنيابه قائلًا: لقد أمر الزعيم أن تبقى هنا حتى ساعة التنفيذ، وقد خُصِّصت لك الكابينة رقم «١٠» لنومك، وتستطيع أن تذهب لتنام.

وأشار «كرادوك» إلى الجانب الأيمن من الدهليز، وقام «أحمد» دون كلمةٍ واحدة، واجتاز الستارة التي تفصل الدهليز عن الصالة، والكابينة رقم «١٠» هي الثالثة على اليمين، فمشى إليها وفتح الباب ودخل.

كانت الكابينة مفروشةً بأناقة، وبها كل وسائل الراحة، فاستلقى على الفراش بملابسه يُفكِّر ... لقد تحقَّق جزء كبير من خطة رقم «صفر»، ولكنه الآن في مأزق حقيقي؛ لقد أرادت المنظمة أن تختبره، واختارت للاختبار جريمة قتل، وفي الأغلب فإن المطلوب قتله رجل شريف يعمل من أجل بلده، فهل من المعقول لأي سبب أن يقوم بعملية الاغتيال لحساب هذه المنظمة الإجرامية؟!

نام دون أن يُغيِّر ثيابه، وعندما استيقظ في الصباح وجد «كرادوك» بجواره، فنظر إليه مستفسرًا، ولكن «كرادوك» الغوريلا ابتسم مكشِّرًا عن أنيابه وقال: جئت فقط أطمئن عليك؛ فقد كنت أظن أنك هربت ...

نظر إليه «أحمد» متسائلًا، وهو يُحاول أن يتصوَّر ما يدور في هذه الجبهة المنخفضة والعينَين الضيقتَين، وفجأةً سحب «كرادوك» مسدسًا من جيبه في سرعة سخيفة، وصوَّبه إلى وجه «أحمد» ...

كانت حركةً غير متوقَّعة تمامًا، وأدرك «أحمد» أن المنظمة كشفت حقيقته، وأن «كرادوك» سيتولَّى تنفيذ حكم الإعدام فيه، ولم يكن يحمل سلاحًا سوى آلة صغيرة حادة، مربوطة في باطن ساقه، ولكن ماذا تفعل هذه الآلة أمام هذا المسدس الضخم المرعب؟! ظل ساكنًا مكانه، وظل وجهه جامدًا لا يعكس التوتُّر الذي أصابه، وظل ينظر في عينَي «كرادوك» الضيقتَين، ولم يستطِع أن يكتم ابتسامةً ارتسمت على شفتَيه، وهو يرى الغوريلا وكأنه في غابة، ولكن «كرادوك» لدهشة «أحمد» الشديدة، ابتسم هو الآخر وقال: إنه اختبارٌ بسيط؛ فقد أردت أن أعرف مدى شجاعة زميلي! …

وأغمض «أحمد» عينَيه، ثم قال: إنني سأخرج الآن؛ فقد طُلب منِّي أمس في قسم الشرطة أن أحضر اليوم لاستكمال استجوابي أمام وكيل النيابة.

هزَّ «كرادوك» حاجبَيه الكثيفَين وقال: سأسأل وأعود.

أحمد: سأنتظرك.

خرج «كرادوك»، وبسرعة البرق قفز «أحمد» من فراشه، وأسرع إلى دورة المياه، فأخرج قلمًا صغيرًا من جيبه، ثم أخذ يكتب بسرعة محمومة:

مطلوب منك أن توصل الرسالة إلى «ش. ح. ش» في المباحث العامة.

ثم كتب بالشفرة السرية:

إلى «ش. ح. ش»

هناك خطة لاغتيال رجل يُدعى «ع»، ولا أعرف بقية اسمه، يسكن في عمارة على كورنيش النيل، بها مصعد يُؤدِّي إلى «جراج» العمارة مباشرة، و«ع» يذهب مرتَين في الأسبوع للقاء عدد من الخبراء الأجانب في شاليه بالهرم، يومَي الإثنين والخميس. سأقوم أنا باغتياله حسب خطة موضوعة، اطلب منه أن يتظاهر بالموت، وسأُطلق الرصاص بعيدًا عنه، سنستولي على حقيبته، فإذا كان بها مستندات مهمة فعلَيه أن يُغيِّرها. التنفيذ يوم الخميس ليلًا في طريق الهرم. أعتمد عليك.

«ش. من ش. ك»

شكوك ... وانتظار ... ومسدس ماوزر

عاد «أحمد» إلى فراشه وتمدَّد كما كان، وبعد ثانية واحدة دخل «كرادوك» الغرفة وقال في حرج: ستذهب الآن ... ولكن سأكون معك.

أنزل «أحمد» ساقَيه من الفراش في تكاسل، ثم ذهب إلى دورة المياه فاغتسل، وعاد إلى «كرادوك» الذي كان يتبعه بعينَيه، وكأنه يتصوَّر أنه يمكن أن يتلاشى في الهواء، وسارا معًا إلى صالة الانتظار، وكان هناك ثلاثة من الرجال يتناولون إفطارهم، فأخذوا يرمقون «أحمد» في تفحُّص، وجاء الإفطار، وأخذ «أحمد» يتناوله في شهية، و«كرادوك» يشرب كوبًا من القهوة السوداء وهو مكشِّر عن أنيابه.

خرجا معًا، وتولَّى «كرادوك» القيادة، واتجها إلى مصر الجديدة، وعندما وصلا إلى القسم أخذ «أحمد» يُفكِّر: هل سيدخل وحده أم أن «كرادوك» سيدخل معه؟... وتمنَّى أن يتركه «كرادوك» يدخل وحده، ولكن الغوريلا سار معه حتى دخلا القسم. ومشى «أحمد» بهدوء إلى غرفة مأمور القسم، وقال للعسكري الواقف على الباب: أُريد أن أُقابل المأمور؛ فقد طلبني بخصوص عملية التهريب التي حدثت في طريق المطار.

ودخل الرجل، وبقي «أحمد» و«كرادوك»، وكان «أحمد» يتمنَّى أن يستقبله المأمور، فلو أنه رفض لأثار ريبة «كرادوك»، وهو ليس في حاجة إلى مزيد من الارتياب، فمن الواضح أنه يشك في «أحمد» كل الشك.

وخرج العسكري وقال لـ «أحمد»: إن سيادة المأمور في انتظارك.

وفتح «أحمد» الباب قائلًا لـ «كرادوك»: انتظرني هنا.

كان «أحمد» يُمسك بقطعة الورقة في شكل كرة صغيرة بين أصابعه، وكل ما كان يرجوه أن يتمكَّن من تسليمها للمأمور، دون أن يراها «كرادوك» إذا دخل معه. وعندما دفع الباب ليدخل، فوجئ بـ «كرادوك» يدخل خلفه، كان ذلك مخالفًا للعرف، فالمتهم أو

الشاهد لا بد أن يُدلي بأقواله منفردًا، وقد يُسبِّب وجود «كرادوك» مشكلات، ومرةً أخرى التفت إليه قائلًا: ليس من حقك الدخول.

قال «كرادوك» بخشونة: إذا طلب مني المأمور الانصراف فسوف أنصرف.

كان المأمور يتحدَّث تليفونيًّا وأشار إليهما بالجلوس، فجلسا على مقعدَين متقابلَين، وحاول «أحمد» أن تلتقي عيناه بعينَي المأمور، لعله يستطيع أن يجعله يفهم أن ثمة شيئًا غير عادي يجري في المكان، وأنه يُريد الانفراد به، ولكن المأمور ظلَّ يتحدَّث في التليفون، ويكتب في ورقة أمامه دون أن يرفع رأسه إلى «أحمد» مرةً واحدة، ثم وضع سمَّاعة التليفون، وجاءت اللحظة الحاسمة ... إن «أحمد» ليس مطلوبًا اليوم فماذا يقول للمأمور؟!

وخدمه الحظ في الوقت المناسب؛ فقد دخل أحد السُّعاة يحمل كوبًا من الشاي للمأمور، وللحظة وقف الساعي بين «أحمد» وبين «كرادوك» بحيث لا يرى أحدهما الآخر، ونظر «أحمد» في عينَي المأمور، ثم ألقى بالكرة الورقية في الصينية التي يحملها الساعي، وقال: إنني مطلوبٌ لاستكمال استجوابي عن عملية التهريب.

ولاحظ أن المأمور تناول كوب الشاي والورقة معًا، وتنفَّس الصعَداء، وقال المأمور بهدوء: لا بد أنك أخطأت؛ فأنت مطلوب لمواجهة المهرِّب، ولكنه لم يُصبح بعدُ في حالة تسمح باستجوابه، وسنُرسل إليك عندما نحتاجك.

وقف «أحمد» معتذرًا، ووقف «كرادوك» معه، واعتذر «أحمد» للمأمور عن الخطأ الذي وقع فيه، وانصرف ... ولاحظ أن المأمور ينظر إلى «كرادوك» بارتياب، وتمنَّى ألَّا يفعل شيئًا قبل أن يقرأ الورقة.

وخرجا دون أن يتبادلا كلمةً واحدة، وكان «أحمد» يُفكِّر ... هل لاحظ «كرادوك» ما حدث؟ هل شاهد كرة الورق الصغيرة في الصينية؟ وهل ارتاب في حضوره إلى قسم الشرطة؟

وركبا السيارة و«كرادوك» لا يتحدَّث، حتى إذا انطلقت بهما قال «كرادوك»: إنني لا أفهم لماذا حضرتَ ما دمتَ لستَ مطلوبًا؟!

أحمد: لقد قال لي الضابط أمس هذا!

هزَّ «كرادوك» رأسه في ارتياب ... ومضت السيارة تشق طريقها عبر الشوارع المزدحمة، وكان ذهن «أحمد» أكثر ازدحامًا، إنه في حاجة لأن يُرسل تقريرًا لرقم «صفر» ولكن كيف؟! إنه مراقبٌ طول الوقت، وعليه أن يتصرَّف وحده، وفي نفس الوقت، هناك

هذا الرجل الذي سيغتاله غدًا في طريق الهرم ... هل يقوم المأمور بتسليم الورقة إلى «ش. ح. ش» وهو وسيط بين الشياطين وبين السلطة، أم يظن أنها لعب عيال، ويُضطر هو إلى قتل الرجل لتأكيد ولائه الجديد لهذه المنظمة الرهيبة؟

وقرَّر «أحمد» أن يترك الأمور تسير طبيعيًّا، ما دام لا يمكن تغييرها.

ووصلا إلى العوَّامة، وكانت مفاجأة لـ «أحمد» ... أنها لم تكن موجودةً في المكان التي كانت به عندما تركها في الصباح، منذ أقل من ساعتَين، فكيف تحرَّكت والعوَّامات بطيئة الحركة، وتحتاج إلى قارب يسحبها ... ليس هناك سوى تفسير واحد، إنها ليست عوَّامة، بل هي في الغالب قارب بخاري ضخم، أُضيفت إليه بعض التصميمات ليبدو في شكل عوَّامة، وبهذا يمكن الانتقال بسرعة من مكان إلى آخر، وفي الإمكان التخلُّص من التصميمات في الوقت المناسب.

نزلا إلى جوف العوَّامة، وأسرع «كرادوك» ليتحدَّث إلى الزعيم، بينما صعد «أحمد» إلى السطح، وطلب كوبًا من الشاي، وجلس يستمتع بأشعة الشمس الدافئة، ولكنه لم يستمتع إلَّا قليلًا؛ فقد صعد الزعيم و«كرادوك» ورجل ثالث، وبدأ الزعيم الحديث على الفور قائلًا: إن «كرادوك» لديه شكوك ناحية زيارتك اليوم لقسم الشرطة، ولكني سوف أتجاهل هذه الشكوك حتى مساء الغد!

قال «أحمد» بوقاحة: إذا كان عند «كرادوك» شكوك من أي نوع؛ فإني سأنصرف فورًا؛ فلستُ أُريد أن أشترك في أية مشروعات، وقد عشت ما يكفي من مغامرات، ولا أُريد أن أُضيف إلى رصيدي شيئًا آخر.

ساد الصمت لحظات، وقال الزعيم: إنك لن تعمل معنا مجانًا.

ردَّ «أحمد» بنفس الوقاحة: ولست في حاجة إلى أي نقود؛ إن عندي سيارتي، وفي إمكاني أن أكسب ما يكفي حياتي!

وقام واقفًا، واتجه إلى الممشى الذي يقوده إلى مدخل العوَّامة، وسمع صوت مسدس يُعد للإطلاق، وسمع الزعيم يقول: صبرًا يا صديقي ... إن «كرادوك» لم يقصد إهانتك، إنه يُريد فقط أن يتأكَّد، وعلى كل حال فإن رجلنا الذي زرعناه داخل مجموعة الشياطين، قد وصلته تعليمات منَّا بأن يُحاول معرفة حقيقة موقفك، وحتى يأتيني تقريره سوف نضع كل ثقتنا فيك.

نظر «أحمد» إلى الزعيم، ثم عاد للجلوس، وقال الزعيم وهو يقف: فقط أرجو ألَّا تُغادر العوَّامة مطلقًا وحدك، حتى مساء الغد.

وابتسم، ثم أضاف: ليس شكًّا فيك، ولكن حفاظًا عليك.

وأصبح «أحمد» وحيدًا مرةً أخرى، وأخذ يدرس العوَّامة، وطرق الإفلات منها، ونوع الحراسة التي عليها.

ومضى اليومان سريعًا، وجاء مساء الخميس، ودخل «كرادوك» على «أحمد» وطلب منه أن يتبعه، ومشيا في ممرَّات العوامة حتى دفع «كرادوك» أحد الأبواب، ووجد «أحمد» نفسه في صالة واسعة، بها بضعة صفوف من الكراسي، وشاشة سينما.

وطلب «كرادوك» من «أحمد» الجلوس، ثم انضم إليهما الزعيم ورجل آخر، وأُطفئت أنوار الصالة، وظهر على الشاشة رجل يتحرَّك في شارع مزدحم، ثم نفس الرجل بملابس أخرى، وتذكَّر «أحمد» أن وجه الرجل ليس غريبًا عليه، لقد رآه من قبل، ولكن لا يذكر أين ... وأخذ يُحاول التذكُّر ولكنه سمع الزعيم يقول: هذا هو رجلنا.

وفهم «أحمد» ... أنه الرجل الذي سيغتاله بعد بضع ساعات، ومضى الزعيم يقول: وحتى لا يحدث أي خطأ، لا بد أن تتأكَّد أنه الرجل المطلوب قبل أن تُطلق الرصاص!

ثم تغيَّر المنظر وبدت الأهرامات، وقال الزعيم: وهذا هو المكان الذي ستتمُّ فيه العملية. هذا هو الشارع، طبعًا سيكون غارقًا في الظلام، ولكننا حدَّدنا الموضع الذي ستُوقفان فيه سيارته، إنه في الربع الأخير من الشارع قرب «صحارى سيتي» ...

وأحسَّ «أحمد» برِعدةٍ تسري في بدنه ... لقد أعدُّوا كل شيء ببراعة، ودرسوا كل احتمال، وأُضيئت الأنوار، وقال الزعيم: إنه يركب سيارةً من طراز «فيات ١٢٥»، وستركبان سيارةً من طراز «بورش» السريع، وقبل النقطة المحدَّدة، ستسبق «البورش» السيارة «الفيات»، ثم تعترضان طريقه، وكأن السيارة قد تعطَّل فيها شيء فجأة، وسيُضطر للتوقُّف، ويجب أن تبدو العملية كأنها عملية سرقة، خُذ منه محفظته وساعته ...

وسكت الزعيم وارتفعت الشاشة عن دمية في حجم الرجل وشكله تقريبًا، ووجد «أحمد» مسدسًا يُسلَّم إليه، وقال الزعيم: والآن هيا.

وأطلق «أحمد» طلقةً واحدةً أصابت الدمية في رأسها فترنَّحت وسقطت، وصاح الزعيم: عظيم! طلقة واحدة ... ولكن من الأفضل أن تُطلق ثلاث مرات.

واعتدلت الدمية مرةً أخرى، وأطلق «أحمد» ثلاث طلقات سريعة، أصابت واحدة الرأس، واثنتان القلب تمامًا، وعاد الزعيم يقول: عظيم! بعد ذلك تحمل الحقيبة وتركب «البورش» وتعودان بأسرع ما يمكن.

وقام «أحمد» يستعد للساعات المقبلة بقلب منقبض، ووجد أنهم قد أعدُّوا له ثيابًا سوداء أنيقة، ووجد عشاءً خفيفًا تناوله، ثم جلس ينظر إلى ساعته، وعندما اقتربت من

الساعة استُدعي لمقابلة الزعيم، ودخل لأول مرة غرفة الرجل ... كانت قلعةً صغيرةً مسلَّحةً لا يمكن اقتحامها ... ولاحظ «أحمد» بابًا أُخفِي بمهارة، وتصوَّر أن هذا الباب عندما يُفتَح يُؤدِّي إلى الماء مباشرة، ولا بد أنه أُعدَّ لهَرَب الزعيم في الوقت المناسب.

فتح الزعيم صندوقًا صغيرًا، وجد به «أحمد» أربعة مسدسات، وقال الزعيم مبتسمًا: لقد رأيتُ أن أترك لك حرية اختيار السلاح الذي يُناسبك، وكله كاتم للصوت.

فحص «أحمد» المسدسات الأربعة، ثم اختار مسدسًا ألمانيًّا من طراز ماوزر، وأداره في يده بضع مرات، ثم اختبر الزناد والذخيرة، وقال: هذا مناسبٌ جدًّا.

قال الزعيم وهو يُغلق الحقيبة: في هذه الليلة يتم اختبارك ... وعندما تعود إلينا ومعك الحقيبة؛ ستصبح عضوًا حقيقيًّا في المنظمة، وتحمل رقمًا ... ويُصبح من حقك أن تتجوَّل بحرية، وأن تطلب ما تشاء من النقود.

لم يردَّ «أحمد» ... ودخل «كرادوك»، وبعد لحظات كانا يغادران العوَّامة، ووجد «أحمد» السيارة «البورش» السريعة واقفة، وفتح الباب وجلس، وسرعان ما كان «كرادوك» الغوريلا يُدير المحرِّك، ثم يستدير بالسيارة عائدًا في اتجاه المدينة، فيمر بكوبري الملك الصالح ثم يدخل الجيزة.

مضت السيارة تشق طريقها ... لم يكن شارع الهرم الصاخب مزدحمًا؛ فقد كانت الليلة باردة، ولهذا فقد قامت «البورش» باكتساح الطريق، حتى صعدت ربوة الهرم في سهولة أوضحت مدى قوة المحرك.

ودار «كرادوك» حول الهرم الأكبر، ووقف بالسيارة بجوار صخرة، وأسكت المحرك، وأخرج سيجارةً أشعلها، ثم نظر في ساعته وقال: بعد عشر دقائق سيأتي الرجل. مضت الدقائق العشر ببطء ... و«أحمد» غارق في خواطره، وفجأةً مدَّ «كرادوك» يده وأدار المحرِّك، ثم انطلق كالعاصفة، وبدت أمامهما على أضواء «البورش» سيارة صفراء من طراز «فيات ١٢٥»، ورجل واحد يقودها في هدوء، وخفض «كرادوك» أضواءه، ثم انطلق خلف الفيات، وكأنه نمرٌ مفترس في أعقاب غزالة مطمئنة ...

القتل من أجل المستقبل

أخذت المسافة تضيق بين «البورش» وبين «الفيات»، وأخذت نقطة التلاقي تقترب أيضًا، النقطة التي تسبق فيها «البورش» «الفيات»، ثم تُوقفها ... ومضت الدقائق، ثم أصبحت «البورش» خلف «الفيات» مباشرة، وأطلق «كرادوك» الأبواق في صوت مزعجٍ وهو يكاد يصطدم بـ «الفيات» التي أوسعت الطريق، حتى إنها دخلت في الرمال، وداس «كرادوك» على الفرامل بشدة، فدارت السيارة وكادت تسد الطريق، ولم يكن أمام «الفيات» إلَّا أن تقف في مكانها ...

وقفز «أحمد» بسرعة، وقد أشرع مسدسه، وانقضَّ على راكب «الفيات» الذي كان قد فتح الباب ليرى ما حدث ... أطلق «أحمد» رصاصةً بين قدمَي الرجل، وانتظر في ثانية ليرى ما يحدث ... وابتسم في الظلام، عندما شاهد الرجل يسقط على الأرض ويُطلق صرخة ... فأطلق رصاصتَين أُخريَين كما طلب الزعيم، ثم انقضَّ على الرجل، فجرَّده من ساعته ومحفظته، ثم خطف الحقيبة السوداء التي كانت على المقعد المجاور لمقعد السائق، وانطلق عائدًا إلى «البورش» ...

وأدار «كرادوك» السيارة، وأطلق ضوء الكشَّافات لحظةً خاطفةً على «الفيات»، وشاهد الرجل الملقى على الأرض وقد انفرجت ساقاه وذراعاه، واندفن وجهه في الرمال، وقال الغوريلا من بين أسنانه: عمل جيد!

واتجهت «البورش» عائدةً وقد وضع «أحمد» الحقيبة السوداء بين قدمَيه، ووضع المسدس في جيبه، ثم اضطجع على كرسيه، وأطلق لفكره العنان ... لقد وصلت رسالته إلى «ش. ح. ش»، ونفَّذ التعليمات، إنه رجل فذ، كيف عرف مكان «القتيل» رغم المعلومات القليلة؟ إنه شيء مدهش هذا الذي حدث!

وصلت «البورش» بعد أقل من نصف ساعة إلى العوَّامة، ولدهشة «أحمد» وجدها في مكان ثالث، وعرف أنهم يُغيِّرون مكانهم بعد كل مرة يخرج فيها، خوفًا من الخيانة ... وابتسم لأنه لم يكن ليخونهم الآن، فما زالت الخطة التي وضعها رقم «صفر» فيها تفاصيل كثيرة، وما زال أمامه شوط طويل قبل أن يدل عليهم، فالمهم الآن هو اكتساب ثقتهم فقط ...

ودخل الاثنان إلى جوف العوَّامة، ووجدا كل المجموعة موجودة، وبينهم الزعيم، وقد جلس في الوسط يُدخِّن في هدوء مشحونًا بالتوتُّر، وتقدَّم «أحمد» ومدَّ يده بالحقيبة إلى الزعيم الذي ابتسم، وتناول الحقيبة بيد، وباليد الأخرى شد على يد «أحمد» مصافحًا، ثم أشار له بالجلوس.

جلس «أحمد»، وفتح الزعيم الحقيبة مسرعًا، وبدأ يُخرج ما بها من أوراق، وقال من بين أسنانه يسأل «كرادوك»: هل رأيتَ الرجل؟

ردَّ «كرادوك»: نعم أيها الزعيم ... لقد كانت الطلقات الثلاث محكمة، والرجل ممدَّد الآن على الرمال بلا روح.

قال الزعيم من بين أسنانه: عظيم!

وظهرت الأوراق التي بالحقيبة ... أوراق كبيرة سميكة زرقاء، أدرك «أحمد» أنها خرائط، ومعها أوراق أخرى كُتبت بنظام على الماكينة، وقال الزعيم وهو يطفئ سيجارته ويُزيح الأوراق: والآن يا صديقي الصغير، خذ هذه ...

وأخرج من جيبه سلسلةً ذهبيةً تنتهي بمجموعة من المفاتيح، وقال: حافظ على هذه السلسلة وهذه المفاتيح.

وأمسك «أحمد» بالسلسلة يتأمَّلها، كانت تنتهي بميداليةٍ عليها رسمٌ بارز للكرة الأرضية، تُمسك بها خمس أصابعَ قوية، وعليها الحرفان الإنجليزيان W. M الحرفان الأوَّلان من «ورلد ماسترز»؛ أي سادة العالم ... وعلى الوجه الآخر رقم «٩٩٩»، وعرف أنه أصبح العضو رقم «٩٩٩» في منظمة «سادة العالم».

قال الزعيم: تستطيع أن تذهب لترتاح، وسنلتقي في الصباح على ظهر العوَّامة في التاسعة.

وقام «أحمد» واتجه إلى كابينته، وقد أحسَّ أنه أسعد شخص في العالم، لقد نفَّذ كل ما طلبته المنظمة دون أن يقتل الرجل، هذا الرجل الذي يتذكَّر وجهه، ولكن لا يستطيع بالضبط تحديد شخصيته ...

ودخل الكابينة فخلع ملابسه، ثم فتح الراديو على محطة الموسيقى، وأمسك بمجلة وأخذ يُقلِّب فيها. لقد مضى كل شيء على ما يرام حتى الآن، ارتكب الجريمة التي طلبها الزعيم، قتل الرجل وجرَّده من ممتلكاته الشخصية، ثم أخذ الحقيبة، وهم الآن واثقون به، ولم يعد ما يخشاه إلَّا ذلك الخائن الخفي الذي لا يعرف عنه شيئًا ... هل يكشفه قبل أن يحصل على كل المعلومات التي طلبها رقم «صفر»؟ ... إنهم لو اكتشفوه لكانت نهايته من ناحية، ومن ناحية أخرى فشل ذريع لخطة ممتازة لرقم «صفر».

ونام «أحمد» والأفكار تراوده، وعندما استيقظ في اليوم التالي، فتح عينَيه على وجه «كرادوك» الذي يُشبه وجه الغوريلا، ولأول مرة وجد في العينَين الضيقتَين نظرة تقدير وإعجاب!

وكانت في يد «كرادوك» مجموعة جرائد الصباح، فألقاها على فراش «أحمد» قائلًا: خذ واقرأ، إن حادث الأمس منشور في جميع الجرائد.

وأمسك «أحمد» بجريدة الأهرام، كانت صورة «القتيل» منشورةً في الصفحة الأولى، وفوقها عنوان كبير: «مصرع خبير مصري عالمي». وخفق قلب «أحمد» رغم أنه يعلم أن الرجل لم يقتل ... لقد أتقن «ش. ح. ش» الخطة، وعمل على نشر الحادث على أوسع نطاق، ليُؤكِّد للمنظمة أن عملية الاغتيال قد تمَّت ...

وعندما قرأ «أحمد» اسم الخبير المقتول، سرت في جسده رجفة ... إنه يعرفه، وطالما قرأ عنه! ... لقد تذكَّر كل شيء الآن عن الرجل «القتيل»؛ إنه خبير مصريٌّ في التفجير النووي، ويعمل في مشروع «منخفض القطَّارة»، هذا المشروع الهام، الذي لا يقل أهميةً عن السد العالي.

وأدرك «أحمد» على الفور ماذا تُريد منظمة «سادة العالم» ... إنهم سيتدخَّلون لوقف المشروع الكبير.

ومضى يقرأ تفاصيل الحادث، ومرةً أخرى شعر بسعادة عندما وجد أن رجال الشرطة قد صوَّروا القضية على أنها قضية سرقة عادية، وهو بالضبط ما تُريده المنظمة، وأشار التحقيق الصحفي إلى الحقيبة السوداء، وقال إنها بها مستندات هامة، لن ينتفع بها اللص، وقال إن هناك نسخًا منها عند المسئولين، ولا أهمية لفقدها.

قال «كرادوك»: والآن يا رقم «٩٩٩»، أنت عضو في المنظمة، ومن حقك أن تتصرَّف كما تُريد، وأن تعرف خططنا، والزعيم في انتظارك ...

قام «أحمد» فدخل دورة المياه، وبعد أن اغتسل وغيَّر ثيابه، صعد إلى سطح العوَّامة، حيث كان الزعيم وبعض أعوانه في انتظاره، وقد ابتسموا جميعًا عندما رأوه، وحيَّوه تحيةً حارة …

قال الزعيم: لقد نفَّذت الخطة ببراعة وبلع رجال الشرطة الطعم، وظنوا أنها حادثة سرقة عادية، ولكن أنت تعرف هدفنا، إنه الحصول على خرائط «منخفض القطَّارة» والتفجير النووي، الذي سيفتح أنفاق المياه العذبة إليه.

وسكت الزعيم لحظات، ثم قال: ولكن خطة «منخفض القطارة» لن نعمل فيها الآن … لقد كنا نُريد الحصول على الخرائط فقط الآن، وبعد فترة سوف نقوم بعملية «منخفض القطارة»، ولكن أمامنا الآن عملية أخرى بسيطة.

ظل «أحمد» ساكتًا يُفكِّر فيما يسمع … إن هذه المنظمة من الخطورة أكثر ممَّا توقَّع بكثير؛ فهو يعرف أن مشروع «منخفض القطَّارة» من أهم مشاريع التنمية في «مصر»، فماذا يُريدون منه؟

ومضى الزعيم يقول: لقد طلب تاجر آثار عالمي، أن نسرق له مجموعةً من تماثيل الإله «حورس» من المتحف المصري، وعندنا مجموعة متقنة التزييف سنضعها في مكان التماثيل الأصلية.

قال «أحمد»: ولكن دخول المتحف المصري مسألةٌ صعبة؛ فعليه حراسة مشدَّدة!

ردَّ الزعيم مبتسمًا: دع هذا لنا … فهناك نقطة ضعف قد لا تُتاح مرةً أخرى؛ إنهم يهدمون هذه الأيام جزءًا من السور الخلفي؛ لإقامة مبنًى جديد صغير خلف المتحف، ولا يقف عند السور الخلفي سوى حارس واحد، من السهل طبعًا التغلُّب عليه، ثم سيتم بعد ذلك النزول إلى المتحف، من فتحات التهوية الموجودة في القبة الكبرى.

أحمد: وهل نستطيع حمل هذه التماثيل؟

الزعيم: إن حجمها ليس كبيرًا كما تظن … إنها خمسة تماثيل، لا يزيد ارتفاع أي منها عن خمسين سنتيمترًا، ولكنها لا تُقدَّر بثمن … وبسرقة هذه التماثيل نضرب عصفورَين بحجٍ؛ أولًا: الحصول على مبلغٍ ضخم من تاجر الآثار الذي طلب سرقتها … ثانيًا: تحويل الأنظار عن عملية «منخفض القطَّارة»؛ فسوف ينشغل رجال الشرطة والأمن بهذه السرقة، في الوقت الذي نقوم فيه بالعملية الكبرى عملية «منخفض القطَّارة» …

أحمد: ولكن ما أهمية «منخفض القطَّارة» بالنسبة لنا؟

قال الزعيم مبتسمًا: عظيم أنك تقول «لنا» ولا تقول «لكم» ... لقد أصبحتَ واحدًا منا حقًّا، وسوف نشرح أهمية مشروع القطَّارة بالنسبة لنا في الوقت المناسب. فقط المطلوب منك الآن، أن تبذل غاية جهدك في تنفيذ خطة تماثيل الإله «حورس».

أحمد: ولكن لماذا أنا بالذات؟

ابتسم الزعيم مرةً أخرى وقال: بمنتهى الصراحة، نحن في حاجة إلى عضو مصريٍّ في المنظمة، له كفاءتك، يعرف مصر جيدًا، ويتحدَّث العربية بطلاقة، وإذا قُبض عليه، فلن ترى جهات الأمن إلَّا أنه لصٌّ مصري، أمَّا إذا قُبض على واحد منا، فسوف تتنبَّه جهات الأمن إلينا ... وهذا ما لا نُريده أن يحدث مطلقًا ... وبالطبع سوف نحميك وندافع عنك!

أحمد: وما هي مهمتي بالضبط؟

الزعيم: ستذهب الآن مع صديقك «كرادوك» لمعاينة مجموعة التماثيل، وستدرسان أفضل الطرق لانتزاعها من أماكنها بسرعة ودون أن تنكسر ... وستعرف بقية التفاصيل عندما تعود على الفور.

وقف «أحمد» فأخرج الزعيم رزمةً من النقود، مدَّ بها يده إليه قائلًا: هذه دفعة تحت الحساب، وسيكون هذا المساء إجازةً لك، وسنُحدِّد غدًا صباحًا أفضل موعد لتنفيذ الخطة.

تظاهر «أحمد» بالسعادة، وهو يتناول رزمة الأوراق المالية، ويدسها في جيبه، ثم انطلق مع «كرادوك». وسرعان ما كانت السيارة تحملهما إلى ميدان التحرير ... وأحسَّ «أحمد» بقلبه يخفق بشدة، وهو يجتاز عتبة الباب الرئيسي في المتحف الضخم ... وقال في نفسه: كيف يتصوَّر هؤلاء الأوغاد أن مصريًّا يمكن أن يقبل سرقة آثار حضارته القديمة من أجل أي مبلغٍ من المال؟!

ومشى مع «كرادوك»، وصعد السلم الرخامي العريض، وانضمَّا إلى مجموعة من السائحين، كانوا يتفرَّجون على أبدع ما أنتجت الحضارة الإنسانية في تاريخها الطويل ... وبعد حوالي ساعة كانوا يقفون أمام مجموعة التماثيل الخاصة بالإله «حورس»، وأخذ «أحمد» يتأمَّل المجموعة في إجلال واحترام، المجموعة التي سيسرقها من أجل هدف أكبر، هو القضاء على منظمة «سادة العالم».

ووقف هو و«كرادوك» حول المجموعة أطول فترة ممكنة، وتركا بقية السائحين يتجوَّلون في أنحاء المتحف، وظلَّا يتهامسان، ويقيسان الأبعاد والمسافات والاحتمالات ... حتى إذا اطمأنَّا إلى أنهما عرفا كل التفاصيل الممكنة، عادا إلى العوَّامة، حيث قابلا الزعيم، وشرح له «أحمد» الخطة التي اختمرت في ذهنه للسرقة ... وابتسم الزعيم وقال: أنت حرٌّ من الآن حتى مساء الغد!

الخائن ... المهمة القادمة

خرج «أحمد» من العوَّامة في هدوء، ورغم أنه حصل على عضوية أكبر منظمة إجرامية في العالم، وأنهم أظهروا ثقتهم به، فقد فضَّل أن يتصرَّف بحذرٍ شديد، فليس من المستبعد أن يكون مراقبًا ... فلمَّا وقف أمام العوَّامة انتظر لحظات، وفكَّر أن يستخدم سيارةً من سيارات المنظمة، ولكن استقر رأيه في النهاية على ركوب تاكسي إلى «شبرا» لإحضار سيارته، فإذا ركب سيارته فسيكون من الصعب مراقبته، فهناك عشرات من ألوف سيارات التاكسي في «القاهرة».

وبعد أن وصل إلى «الجراج» وركب سيارته، اختار أن يدخل «شبرا» بدلًا من أن يخرج منها، وكان يتمنَّى شيئًا واحدًا؛ أن يجد زبونًا ذاهبًا إلى جاردن سيتي؛ فقد كان في حاجة للذهاب إلى شقته هناك ليُرسل بتقرير إلى رقم «صفر» يُعرِّفه فيه بما حدث، وبخطة سرقة تماثيل الإله «حورس».

ولكن أمنيته لم تتحقَّق إلَّا بعد ساعات طويلة من اللف والدوران في شوارع «القاهرة» وقد هبط المساء ... فقد ركب رجل عجوز طلب منه التوجُّه إلى جاردن سيتي. ورقص قلب «أحمد» فرحًا؛ فلو كان مراقبًا فإن الذي يُراقبه لن يستطيع اكتشاف سبب ذهابه إلى جاردن سيتي.

وصل «أحمد» إلى جاردن سيتي، ووجد بائع ساندويتشات فول يقف وحوله عدد من الآكلين، وأحسَّ برغبة حقيقية لتناول ساندويتش طعمية ساخن، فركن سيارته ووقف يتناول الساندويتش، وعيناه تدوران في حذر حوله، ليرى إن كان مراقبًا أم لا ...

انتهى من تناول الساندويتش، ثم تلفَّت حوله للمرة الأخيرة، وترك السيارة مكانها؛ فقد كان قريبًا من العمارة التي يسكن بها، وسرعان ما كان يركب المصعد، فلمَّا وصل

إلى الممر، وقف قليلًا حتى تحرَّك المصعد، ونظر أسفل السلم فلم يجد أحدًا. تقدَّم مسرعًا وفتح باب الشقة ودخل وأضاء النور.

كانت المفاجأة في انتظاره ... ويا لها من مفاجأة!

إنه لم يكن في حاجة إلى كل هذا اللف والدوران والحذر؛ فقد كان الزعيم ومعه ثلاثة من أعوانه في صالة الشقة. كان الزعيم يجلس مادًّا ساقَيه يتأمَّل النيل، بينما «كرادوك» يقف مواجهًا للباب وبيده مسدس ضخم، وكان الاثنان الآخران يربضان في جانبَين من الصالة خلف الباب ...

ولم يكن أمام «أحمد» إلَّا الدخول وهناك ثلاثة مسدسات موجَّهة إليه ... لقد أذهلته المفاجأة ... كيف وصلوا إلى هذا المكان؟! ... ولم تكن هناك سوى إجابة واحدة ... الخائن الذي يعمل معهم!

قال الزعيم دون أن ينظر إليه: إنني معجبٌ بك جدًّا ... لقد أدَّيت دورك بمهارة، وكنت أتمنَّى أن تنضمَّ إلينا حقًّا، ولكن ...

وصمت الزعيم لحظات، ثم قال: لقد وضعتني في موضع حرج أمام المنظمة؛ فقد أخطأتُ ووثقتُ بك، وسوف أُحاسبك على هذا حسابًا عسيرًا، وليس أمامك الآن إلَّا أن تُصلح خطأك، وأن تقول لي أين مقر الشياطين الـ «١٣»!

لم يردَّ «أحمد»؛ فقد كانت المفاجأة رهيبة، وقعت عليه وقع الصاعقة ... وبعد أن ظنَّ أن كل شيء يمضي على ما يرام، إذا بكل شيء يمضي إلى الأسوأ.

عاد الزعيم يقول: تكلَّم!

وتقدَّم «كرادوك» ورفع يده الضخمة وهوى بصفعة قاسية على وجه «أحمد»، فالتفت الزعيم وقال: لا داعي لهذا الآن يا «كرادوك» ... أعتقد أن صديقنا سيقول لنا الآن كل شيء، خاصةً بعد أن حطَّمنا جهاز اللاسلكي، ولن يتمكَّن الآن من الاتصال وطلب نجدة!

ولكن «أحمد» لم يرد، فقال الزعيم: سنأخذه معنا إلى العوَّامة، إننا هناك نستطيع أن نتعامل معه أفضل!

ثم التفت إلى «أحمد» قائلًا: لا تُحاول إثارة أي ضجة، إنك تعرف أن هذه المسدسات كلها كاتمةٌ للصوت، ومن الممكن قتلك دون أن يحس أحد.

وتحرَّك الجميع، وكان «كرادوك» يقف خلف «أحمد» طول الوقت، وسرعان ما كانوا يركبون المصعد إلى الشارع، ثم ركبوا سيارةً قادها أحد الرجال، ومضَوا يقطعون شوارع «القاهرة» المضاءة، وذهن «أحمد» يعمل بسرعة. إنه الآن يعمل وحده، ويتعرَّض لعملية تعذيب رهيبة، فمتى يقول لهم عن المكان؟

ومضت السيارة فتجاوزت مصر القديمة، ثم أخذت طريق المعادي، وبعد نحو نصف ساعة كانت تقف عند مكان جديد رست عنده العوَّامة، ونزل الجميع يتقدَّمهم الزعيم، ثم أحد الرجال و«كرادوك»، والرجل الثالث.

اتجهوا فورًا إلى الصالة الكبيرة، وجلس الزعيم، ورأى «أحمد» وجهه وقد عاودته صُفرة غريبة، كأنه رجل يُعاني من أثر سمٍّ قاتل يقضي عليه ... كان من الواضح أنه غاضب وتعس، وأنه يخشى محاسبة المنظمة له بعد أن منح «أحمد» ثقته، وتركه يعرف كثيرًا من أسرارهم.

رفع الرئيس يده في وجه «أحمد» قائلًا: والآن كلمة واحدة ... ستتحدث أم لا؟

لم يُجِبه «أحمد»، فقال الزعيم: خذوه ...

وتقدَّم «كرادوك» وقد كشَّر عن أنيابه، واقتاد «أحمد» إلى الممر، ثم نزلا سلَّمًا ضيقًا إلى جوف العوَّامة، وكان في إمكان «أحمد» أن ينتفع بهذه اللحظات ويهرب من «كرادوك»، ولكنه كان يعرف أنه لن يستطيع الخروج من العوَّامة مطلقًا ...

وصلا إلى باب ضخم من الصلب، وقال «كرادوك»: اخلع ثيابك وحذاءك أيضًا!

نظر إليه «أحمد» في ضيق وقال: لماذا؟!

كرادوك: قلت لك اخلع ثيابك، لا تُبقِ سوى ثيابك الداخلية.

وأخذ «أحمد» يخلع ثيابه، حتى إذا أصبح في ثيابه الداخلية فقط، فتح «كرادوك» الباب الصلب، ثم دفعه بعنف داخل غرفة صغيرة وأغلق الباب.

لم يكد «أحمد» يدخل الغرفة حتى أدرك أين دخل؛ إنه في ثلاجة! ... وعندما وضع يده يتحسَّس جدران الغرفة، وجدها مكسوَّةً بالثلج، وأحسَّ بقدمَيه تلسعانه لشدة البرد، ووقف شعر جسمه كله كالشوك أمام البرد القارس، وحاول أن يتقدَّم إلى الأمام فوجد أنه لا يستطيع أن يسير أكثر من خطوتَين، وحاول أن يقفز مكانه حتى يدفع الدفء إلى أوصاله، ولكن السقف كان منخفضًا، فارتطم رأسه به.

أدرك «أحمد» نوع العذاب الذي يتعرَّض له ... إنه إذا استمر بضع ساعات فقط لمات بردًا أو لفقد بعض أجزاء جسمه، التي ستفسد من شدة البرودة. وأخذ يدق على الجدران والباب عبثًا؛ كان كل شيءٍ صلبًا وباردًا ... ولا صوت هناك سوى صوت الماكينات!

أخذت البرودة تتسلَّل إلى جسده بسرعة، خاصةً أنه فقد القدرة على تحريك أصابع قدمَيه، ثم ساقَيه، كما أحسَّ بذراعَيه تثقلان، وقد سرى فيهما الخدر ...

وبعد نصف ساعة كان جسمه كله يكاد يتجمَّد، وحاول أن يرفع يده ليدقَّ الباب، ويطلب إخراجه من هذا السجن الثلجي، ولكن ذراعه لم تُطاوعه، وأخذ يرتجف بشدة،

وضربات قلبه تتباطأ ... وأدرك «أحمد» أنها النهاية، ولكن في هذه اللحظة سمع الباب يُفتح، و«كرادوك» يمد ذراعَيه الطويلتَين ويجذبه إلى الخارج، وذهب في إغمائة طويلة.

عندما استيقظ «أحمد» سمع حوله حوارًا عرف فيه صوت الزعيم وصوت «كرادوك»، وتظاهر أنه ما زال مغمًى عليه؛ فقد سمع كلمات: «عميلنا داخل الشياطين»، وفهم أنه موجود الآن في العوَّامة، وساد الصمت لحظات، ثم سمع صوت أقدام مقبلة، وسمع بعض كلمات الترحيب، ثم سمع الزعيم يقول: هل عرفوا أننا اكتشفنا حقيقة هذا الولد؟

وسمع من يرد: حتى الآن لا ...

وعرف «أحمد» أنه الخائن ... وأخذ يفتح جفنَيه ليُحاول رؤية الرجل، ولكنه لم يكن في مجال رؤيته، وخشي إن استدار ليراه أن يبطشوا به، حتى لا يكشف شخصية العميل الخائن، وقرَّر أن يكتفي بسماع صوته، ويحتفظ بنبرات ملامح هذا الصوت في ذهنه.

عاد الزعيم يقول: هل تكفي قوتنا الراهنة للهجوم على المقر السري للشياطين؟

ردَّ العميل: لا أعرف ... فأنا لم أدخل المقر السري مطلقًا، ولكن معلوماتي أنه محصن جيدًا وعليكم معرفة المكان وباقي التفاصيل من هذا الولد.

كان «أحمد» يتتبَّع كل كلمة؛ فقد كان اكتشاف الخائن أهم ما يمكن أن يُقدِّمه من خدمة لرقم «صفر»، وللشياطين الـ «١٣» ... فوجود هذا العميل الخائن يمكن أن يُؤدِّي إلى تدمير مجموعة الشياطين.

قال الزعيم: «كرادوك» ... حاول أن توقظ هذا الولد.

وتقدَّم «كرادوك» من «أحمد»، وأخذ يجس نبضه، ثم مدَّ أصابعه وفتح إحدى عينَيه، وسمع «أحمد» خطوات تُغادر المكان، وعرف أنه الخائن يُغادر المكان قبل أن يراه.

قال «كرادوك»: أظن أنه بدأ يعود إلى وعيه.

وأحسَّ «أحمد» بصفعات «كرادوك» القاسية على وجهه، ففتح عينَيه ... وقال «كرادوك»: «هل تتكلَّم الآن؟»

بدا «أحمد» مستسلمًا ولم يرد، ولكنه حنى رأسه موافقًا، فقال الزعيم: هاتوا له شرابًا ساخنًا.

وبعد لحظات، كان «أحمد» يجلس في كرسيه محاطًا بأغطية ثقيلة، وفي يده التي بدأت تسترد حركتها كوب من الشاي.

وطلب «أحمد» ورقةً وقلمًا، وأخذ يشرح مكان المقر السري، والطرق الموصلة إليه، وبين لحظة وأخرى كان يُجيب عن بعض الأسئلة الخاصة بالتحصينات، والسراديب السرية المؤدية إلى المقر، وبعد ساعة تقريبًا كان قد أتم مهمته ...

قال «كرادوك»: أظن أنه يجب التخلُّص منه الآن أيها الزعيم.

ردَّ الزعيم: ليس الآن؛ فقد يكون في الأمر خدعة. سيبقى هنا حتى ننتهي من هذه المهمة. سنذهب الآن ...

وحملوا «أحمد» إلى غرفة مكتب الزعيم، وهناك تعرَّض لمواجهة ضوء شديد، لا يدري ما هو، ورجَّح أنهم يلتقطون له صورًا لسبب لا يعرفه، أو ربما دائرة تليفزيونية مغلقة تنقل صورته إلى شخص ما، لعله الزعيم الأكبر أو الخائن ... وشاهد «أحمد» مرةً أخرى الباب الذي رآه من قبلُ في غرفة الزعيم، وخطرت بباله فكرة ... ومرةً أخرى حملوه إلى الكابينة؛ فقد تظاهر أن ساقَيه لا تحملانه، وتمدَّد في فراشه يُفكِّر ... إن عليه أن يهرب فورًا.

نظر إلى ساعة الحائط في الكابينة، كانت قد تجاوزت الثالثة صباحًا، وقرَّر أن ينتظر ساعةً أخرى حتى يستردَّ قواه.

ومضت الساعة، ثم قام «أحمد» وقام ببعض التمرينات الرياضية، ومدَّ يده يفتح الباب، ولكنه وجده مغلقًا، فوضع يده على جيبه الداخلي، لحسن الحظ أنهم لم يفتشوا ملابسه، وأخرج أداةً صغيرةً تُشبه القلم، وضغط على زر فيها، فانطلق منها عدد من الأسلحة الصغيرة لفتح الأبواب، وسرعان ما فتح الباب، ونظر في الدهليز، لم يكن هناك أحد.

كانت خطته أن يذهب لغرفة مكتب الزعيم؛ لاستخدام الباب المؤدي إلى النهر ... وأخذ يسير في حذر، حتى أصبح أمام باب الغرفة دون أن يُقابل أحدًا، وفجأةً وهو يمد يده لفتح الباب، انفتح الباب وظهر أمامه «كرادوك»، وكانت هذه هي اللحظة التي تمنَّى «أحمد» طويلًا أن تأتي ... وبكل ما يملك من قوة، ضرب الغوريلا لكمةً هائلةً استقرَّت على أنفه الأفطس، وترنَّح «كرادوك» ولكنه لم يسقط، بل أخرج من جيبه مسدسه، ولكن «أحمد» لم يمهله، فطارت قدمه في ضربةٍ محكمة أصابت المسدس وأطارته بعيدًا، ثم ضربة أخرى بسيف يده على رقبة «كرادوك»، وسمع «أحمد» شهقةً قويةً تصدر من «كرادوك»، ثم سقط على الأرض.

ودخل «أحمد» وأغلق الباب، ثم أسرع حيث يوجد الباب المؤدي إلى النهر، كان يُفتح بدائرة من الحديد كما يُفتح باب الطائرة، أدارها فانفتح الباب، ووجد نفسه أمام المياه مباشرة، ولم يتردَّد، ألقى نفسه في الماء، وأخذ يسبح بسرعة ... ودار دورةً واسعة، ثم صعد إلى الشاطئ ...

كان الجو باردًا وثيابه مبتلَّة، ولكنه لم يعبأ ... أخذ يسير بجوار الكورنيش دون أن يُقابل أحدًا، حتى وصل إلى قرب المعادي، ثم صعد إلى الشارع، وانتظر وهو يرتعد من البرد، حتى وجد سيارة نقل مارة محمَّلة بالطوب تسير بسرعةٍ بسيطة، فجرى خلفها، ثم قفز فوق الطوب وتمدَّد ... ومضت السيارة حتى اقتربت من أول شارع النيل، وانحرفت إلى كوبري الجلاء، فقفز منها، وأخذ طريقه إلى المقر الصغير للشياطين الـ «١٣»، في ميدان السد العالي ... وعندما وصل أمام باب الشقة كانت دهشته أن وجد النور مضاءً فيها ... فأدرك أن الخائن يعرف المكان، وأنه دلَّ المنظمة عليه، وحار ... ماذا يفعل؟

كانت درجة حرارته قد ارتفعت، وأخذ يسعل بشدة، وأحسَّ بالحمَّى تسري في بدنه، وأنه سيسقط من فرط الإعياء والبرد ... وفي هذه اللحظة حدث أروع شيء في العالم؛ فُتح الباب وظهرت على عتبته «إلهام»، ونظرت إليه، ونظر إليها، ثم سقط على الأرض مغمًى عليه ...

كانت الشقة الصغيرة مزدحمةً بسبعة من الشياطين أرسلهم رقم «صفر» في عجَل، عندما تأخَّرت أخبار «أحمد». والتفوا حول زميلهم الذي صرعته الحمَّى، وهم يتساءلون عمَّا حدث ... وفتح «أحمد» عينَيه وقال: كل شيء على ما يرام. إنهم الآن في الطريق إلى المقر السري، وسيلقون هناك نهايتهم ...

قال «عثمان» بارتياع: هل دللتهم على مكان المقر السري؟

ابتسم «أحمد» في وهَنٍ قائلًا: لقد كانت مهمتي الرئيسية أن أدلهم على مكان المقر السري، وقد أدَّيت المهمة، وسيقوم بالباقي رقم «صفر» ... ولكن المهم الآن أن هناك خائنًا في التنظيم، وأول ما يجب أن نفعله هو أن نكشف حقيقة هذا الرجل، وإلَّا فإن كل شيء سيتحطم في التنظيم، ورقم «صفر»، وكل ما فعلناه.

إلهام: وكيف السبيل إلى معرفة هذا الخائن؟

أحمد: هذه هي مهمتنا.

وأغمض عينَيه ونام ...

هنـــداوي